عمر بن عبد العزيز

أعلام الخلفاء
الأمويين

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، السيد أمير المؤمنين حقا- أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الزاهد الراشد أشج بني أمية.

كان من أئمة الاجتهاد ومن الخلفاء الراشدين، وكان حسن الأخلاق والخُلق، كامل العقل، حسن السمت، جيِّد السياسة حريصا- على العدل بكل ممكن، وافر العلم، فقيه النفس، طاهر الذكاء والفهم، أوّاها منيبا-، قانتا لله حنيفا-، زاهدا- مع الخلافة ناطقا- بالحق مع قلة المعين، وكثرة الأمراء الظلمة الذين ملُّوهُ وكرهوا محاققته لهم، ونقصه أُعطياتهم، وأخذه كثيرا- مما في أيديهم، مما أخذوه بغير حقٍّ، فمازالوا به حتى سقوه السم فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُد عند أهل العلم من الخلفاء الراشدين والعلماء العاملين، وكان رحمه الله فصيحا- مُفوَّها-[1].

كان والده عبد العزيز بن مروان بن الحكم، من خيار أمراء بني أمية، شجاعا- كريما- بقي أمير لمصر أكثر من عشرين سنة، وكان من تمام ورعه وصلاحه أنه لما أراد الزواج قال لقيمه: اجمع لي أربعمائة دينارا- من طيب مالي، فإني أريد أن أتزوج إلى أهل بيت لهم صلاح، فتزوج أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي حفيده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقيل اسمها ليلى.

(1) سير أعلام النبلاء، 144/5.

وكان والد عمر بن عبد العزيز ذا نفس تواقة إلى معالي الأمور سواء قبل ولايته مصر أو بعدها فحين دخل مصر أيام شبابه تاقت نفسه إليها وتمنى ولايته فنالها، ثم تاقت إلى الجود فصار أجود أمراء بني أمية وأسخاهم، فكانت له ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل، ومن جوده كان يقول: إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي أعظم من يدي عنده. وقد أكثر المؤرخين من الثناء عليه لجوده وهذا الجود كان ممتزجا- باليقين بأن الله سبحانه وتعالى يخلف على من يرزقه فيقول: عجب لمؤمن يؤمن أن الله يرزقه ويخلف عليه كيف يحبس ماله عن عظيم أجر وحسن ثناء، وكان ذا خشية من الله، ونستقرأ هذه الخشية من قوله حين أدركه الموت: وددت أني لم أكن شيئا- مذكورا-، ولوددت أني أكون هذا الماء الجاري أو نبته بأرض الحجاز.

أمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ووالدها، عاصم بن عمر بن الخطاب، الفقيه، الشريف أبو عمرو القرشي العدوي ولد في أيام النبوة وحدّث عن أبيه وأمه هي جميلة بنت ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريّة، وكان طويلا- جسيما- وكان من نبلاء الرجال، ديّنا، خيّرا-، صالحا-، وكان بليغا-، فصيحا-، شاعرا-، وهو جد الخليفة عمر بن عبد العزيز لأُمِّه، مات سنة سبعين.

وأما جدته لأمه فقد كان لها موقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعن عبد الله بن الزبير بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال: بينما أنا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يَعُسُّ، بالمدينة إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا بنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذ قيه بالماء فقالت لها: يا أمتاه أو ما علمت ما

كان من أمير المؤمنين اليوم قال: وما كان من عزمته يا بنية؟ قالت: إنه أمر مناديا-، فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت: لها يا بنتاه قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر فقالت الصبية لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل ذلك، فقال: يا أسلم عَلِّم الباب وأعرف الموضع، ثم مضى في عسه، فلما أصبحا قال: يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها وهل لهم من بعل؟ فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيِّم لا بعل لها وإذا تيك أمها وإذا ليس بها رجل، فأتيت عمر أخبرته، فدعا عمر ولده، فجمعهم، فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه.. فقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية، فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا- وولدت البنت عمر بن عبد العزيز، ويذكر أن عمر بن الخطاب رأى ذات ليلة رؤيا، ويقول: ليت شعري من ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلا-، كما ملئت جورا-، وكان عبد الله بن عمر يقول أن آل الخطاب يرون أن بلال بن عبد الله بوجهه شامة فحسبوه المبشر الموعود حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز[1].

ولد عمر بن عبد العزيز عام 61هـ وهو قول أكثر المؤرخين، وكانت ولادته بالمدينة [2].

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يلقب بالأشج، وكان يقال له أشج بني مروان، وذلك أن عمر بن عبد العزيز عندما كان صغيرا- دخل إلى اصطبل أبيه عندما كان واليا- على مصر ليرى الخيل

(1) سير أعلام النبلاء، 122/5، انظر: الصلابي، الدولة الأموية.
(2) البداية والنهاية، 676/12.

فضربه فرس في وجهه فشجه، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بني أمية إنك إذا- لسعيد)، ولما رأى أخوه الأصبغ الأثر قال: الله أكبر! هذا أشج بني مروان الذي يملك، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن من ولدي رجلا- بوجهه أثر يملأ الأرض عدلا-. وكان الفاروق قد رأى رؤيا تشير إلى ذلك وقد تكررت هذه الرؤيا لغير الفاروق حتى أصبح الأمر مشهورا- عند الناس بدليل ما قاله أبوه عندما رأى الدم في وجهه وما قاله أخوه عندما رأى الشج في وجهه كلاهما تفاءل لعله أن يكون ذلك الأشج الذي يملأ الأرض عدلا- [1].

كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله أربعة عشر ذكرا- منهم: عبد الملك وعبد العزيز وعبد الله وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وبكر والوليد وموسى وعاصم ويزيد وزبان وعبد الله وبنات ثلاث أمينة وأم عمار وأم عبد الله، وحينما توفي عمر بن عبد العزيز لم يترك لأولاده مالا- إلا الشيء اليسير أنه أصاب الذكر من أولاده من التركة تسعة عشر درهما- فقط، بينما أصاب الذكر من أولاد هشام بن عبد الملك ألف ألف (مليون) وما هي إلا سنوات قليلة حتى كان أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يحمل على مائة فرس في سبيل الله في يوم واحد، وقد رأى بعض الناس رجلا- من أولاد هشام يتصدق عليه. فسبحان الله رب العالمين.. [2].

تزوج عمر بن عبد العزيز من فاطمة بنت عبد الملك، وهي امرأة صالحة تأثرت بعمر بن عبد العزيز وآثرت ما عند الله على متاع الدنيا وقد ولدت لعمر بن عبد العزيز إسحاق ويعقوب وموسى، ومن

(1) د. محمد شقير، فقه عمر بن عبد العزيز، 20/1.
(2) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص338.

زوجاته لميس بنت علي بن الحارث وقد ولدت له عبد الله وبكر وأم عمار، ومن زوجاته أم عثمان بنت شعيب بن زيان، وقد ولدت له إبراهيم. وأما أولاده: عبد الملك والوليد وعاصم ويزيد وعبد الله وعبد العزيز وزيان وأمينة وأم عبد الله فأمهم: أم ولد[1].

ثناء العلماء عليه:

اتفق المؤرخون على أن عمر بن عبد العزيز من أئمة زمانه، فقد أطلق عليه كل من الإمامين: مالك وسفيان بن عيينة وصف إمام، وقال فيه مجاهد: أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمَّنا منه، وقال ميمون بن مهران: كان عمر بن عبد العزيز معلمَّ العلماء، قال فيه الذهبي: كان إماما- فقيها- مجتهدا-، عارفا- بالسنن، كبير الشأن، حافظا-، قانتا- لله أوَّاها- منيبا- يعد في حسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمه عمر، وفي الزهد مع الحسن البصري وفي العلم مع الزهري، وقد احتج الفقهاء والعلماء بقوله وفعله ومن ذلك رسالة الإمام الليث بن سعد إلى الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما وهي رسالة قصيرة وفيها يحتج الليث - مرارا- - بصحة قوله، بقول عمر بن عبد العزيز على مالك فيما ذهب إليه في بعض مسائله، ويرد ذكر عمر بن عبد العزيز في كتب الفقه للمذاهب الأربعة المتبوعة على سبيل الاحتجاج بمذهبه، فاستدل الحنفية بصنيعه في كثير من المسائل وجعلوا له وصفا- يتميَّز به عن جدّه لأمه: عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال القرشي في الجواهر المضيئة: فائدة يقول: أصحابنا في كتبهم في مسائل الخلاف: وهو قول عمر الصغير. يريدون به عمر بن عبد العزيز الإمام الخليفة المشهور، ويكثر الشافعية من ذكره في كتبهم ولذلك ترجم له الإمام النووي ترجمة حافلة في تهذيب الأسماء

(1) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص314 - 315.

واللغات وقال في أولها: تكرر في المختصر والمهذب. وأما المالكية فيكثرون من ذكره في كتبهم أكثر من غيرهم، ومالك إمام المذهب ذكر في (الموطأ) محتجا- بفتواه وقوله في مواضع عديدة في موطئه، وأما الحنابلة فكذلك، يذكرونه كثير، وعمر هو الذي قال فيه الإمام أحمد: لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز وكفاه هذا، وكفانا قول الإمام أحمد أيضا-: إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز ويذكر محاسنه وينشرها فاعلم أن من وراء ذلك خيرا- إن شاء الله، ومن أراد أن يتبحر في علم عمر بن عبد العزيز ويعرف مكانته العلمية، فليراجع الكتب الآتية: الآثار الواردة عن عمر ابن عبد العزيز في العقيدة للأستاذ حياة محمد جبر والكتاب في مجلدين، وهي رسالة علمية وكذلك فقه عمر بن عبد العزيز للدكتور محمد سعد شقير في مجلدين وهي رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الدكتوراه، وموسوعة فقه عمر بن عبد العزيز لمحمد رواس قلعجي وسوف نرى في بحثنا فقه عمر بن عبد العزيز بإذن الله تعالى في العقائد والعبادات والسياسة الشرعية، وإدارة الدولة، والنظم المالية والقضائية والدعوية وتقيده بالكتاب والسنة والخلفاء الراشدين في خطواته وسكناته [1].

تولي عمر بن عبد العزيز إمارة المدينة المنورة في ربيع الأول من عام 87هـ ثم ضم إليه الخليفة الوليد بن عبد الملك ولاية الطائف سنة 91هـ وبذلك صار واليا- على الحجاز كلها: واشترط عمر لتوليه الإمارة ثلاثة شروط:

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 281.

الشرط الأول: أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدا- ولا يجور على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال، ويترتب على ذلك أن يقل ما يرفع للخليفة من الأموال من المدينة. الشرط الثاني: أن يسمح له بالحج في أول سنة لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج.

الشرط الثالث: أن يسمح له بالعطاء أن يخرجه للناس في المدينة فوافق الوليد على هذه الشروط، وباشر عمر بن عبد العزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحا- شديد[1].

ومن الأحداث المؤسفة في ولاية عمر ما ذكره المؤرخون من أن خبيب بن عبد الله بن الزبير قد حدَّث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"**إذا بلغ بنو أبي العاص**[2] **ثلاثين رجلا- اتخذوا عباد الله خولا-، ومال الله دولا-**-[3] وهو حديث ضعيف فبعث الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز - واليه على المدينة - يأمره بجلده مائة سوط وبحبسه فجلده عمر مائة سوط، وبرد له ماء- في جرّة ثم صبه عليه في غداة باردة فكزّ[4]، فمات فيها. وكان عمر قد أخرجه من السجن حين اشتد وجعه، وندم على ما صنع منه وحزن عمر على موت خبيب، فقد روى مصعب بن عبد الله عن مصعب بن عثمان أنهم نقلوا خبيبا- إلى دار عمر بن مصعب بن الزبير ببقيع الزبير

(1) فقه عمر بن عبد العزيز، 63/1، سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي، ص41 -42.
(2)) أبي العاص: أي بنو العاص بني أمية الجد الثالث لكل من الوليد وعمر بن عبد العزيز.
(3) الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة (507/6)، عن أبي سعيد وأبي هريرة قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكر طرق أخرى ورد بها هذا الحديث: وهذه الطرق كلها ضعيفة، انظر الصلابي، الدولة الأوية، 3 / 286.
(4) كزّ الرجل: فهو مكزوز أصابه داء الكزاز، وهو يبس وانقباض من البرد.

واجتمعوا عنده حتى مات، فبينما هم جلوس، إذ جاءهم الماجشون يستأذن عليهم وخبيب مسجى بثوبه. وكان الماجشون مع عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة. فقال عبد الله بن عروة: ائذنوا له. فلما دخل قال: كأن صاحبكم في مرية من موته اكشفوا له عنه، فكشفوا عنه، فلما رآه الماجشون انصرف. قال الماجشون: فانتهيت إلى دار مروان، فقرعت الباب ودخلت فوجدت عمر كالمرأة الماخض قائما- وقاعدا- فقال لي: ما وراءك فقلت: مات الرجل. فسقط على الأرض فزعا- ثم رفع رأسه يسترجع فلم يزل يعرف فيه حتى مات. واستعفى من المدينة، وامتنع من الولاية. وكان كلما قيل له: إنك قد صنعت كذا فأبشر فيقول: كيف بخبيب، ولم يذكرها ويتصورها أمام عينه حتى مات، ومن الأدلة على صلاح عمر بن عبد العزيز وقت ولايته على المدينة غير ما ذكر: ما رواه أبو عمر مولى أسماء بنت أبي بكر قال: فأتيته في مجلسه الذي يصلي فيه الفجر والمصحف في حجره، ودموعه تسيل على لحيته، وحدّث ابن أبي الزناد عن أبيه، قال: كان عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة إذا أراد أن يجود بالشيء قال: ابتغوا أهل بيت بهم حاجة[1].

ومن المواقف المهمة في حياة عمر بن عبد العزيز موقفه من الحجاج بن يوسف الثقفي، ففي سنة 92هـ عقد الخليفة الوليد لواء الحج للحجاج بن يوسف الثقفي ليكون أميرا- على الحج ولما علم عمر بن عبد العزيز بذلك، كتب رحمه الله تعالى إلى الخليفة يستعفيه أن يمرَّ عليه الحجاج بالمدينة المنورة، لأن عمر بن عبد العزيز كان يكره الحجّاج ولا يطيق أن يراه، لما هو عليه من الظلم، فامتثل الوليد

(1) ابن الجوزي سيرة عمر بن عبد العزيز، ص140.

لرغبة عمر، وكتب إلى الحجّاج: إن عمر بن عبد العزيز كتب إليَّ يستعفيني من ممرك عليه، فلا عليك أن لا تمر بمن كرهك فتنحّ عن المدينة، وقد كتب عمر بن عبد العزيز وهو والٍ على المدينة إلى الوليد بن عبد الملك يخبره عما وصل إليه حال العراق من الظلم والضيم والضيق بسبب ظلم الحجّاج وغشمه، مما جعل الحجّاج يحاول الانتقام من عمر لاسيما وقد أصبح الحجاز ملاذا- للفارين من عسف الحجاج وظلمه حيث كتب الحجّاج إلى الوليد: إن من قبلي من مراق أهل العراق وأهل الثقاف قد جلوا عن العراق، ولجأوا إلى المدينة ومكة، وإن ذلك وهن: فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حبان، وخالد بن عبد الله القسري، وعزل عمر عبد العزيز. وقد كان ميول الوليد لسياسة الحجّاج واضحا- وكان يظن بأنه سياسة الشدة والعسف هي السبيل الوحيد لتوطيد أركان الدولة، وهذا ما حال بينه وبين الأخذ بآراء عمر بن عبد العزيز ونصائحه، وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن ما كان يراه عمر أفضل مما كان يسير عليه الوليد، وذلك بعد تولي عمر الخلافة وتطبيقه لما كان يشير به[1].

ومن آخر مواقفه التي ذكرت لعمر بن عبد العزيز في عهد الوليد ابن عبد الملك نصحه للوليد عندما أراد خلع سليمان والبيعة لابنه عبد العزيز من بعده، فوقف عمر من ذلك موقفا- حازما- حيث لم يستجب لأمر الوليد في ذلك وقال حين أراده على ذلك: يا أمير المؤمنين إنما بايعنا لكما في عقدة واحدة فكيف نخلعه ونتركك: فغضب الوليد على عمر، وحاول استخدام الشدة معه لعله يوافقه على ما أراد، فيذكر أنه أغلق عليه الدار وطين عليه الباب حتى تدخلت أم

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 288.

البنين أخته وزوجة الوليد ففتح عنه بعد ثلاث وقد ذبل ومالت عنقه[1].

في عهد سليمان تهيأت الفرص لعمر بن عبد العزيز بقدر كبير فظهرت آثاره في مختلف الجوانب، فبمجرد تولي سليمان الخلافة قرب عمر بن عبد العزيز وأفسح له المجال واسعا- حيث قال: يا أبا حفص إنا ولينا ما قد ترى، ولم يكن بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به وجعله وزيرا- ومستشارا- ملازما- له في إقامته أو سفره وكان سليمان يرى أنه محتاج له في صغيره وكبيره، فكان يقول: ما هو إلا أن يغيب عني هذا الرجل فما أجد أحدا- يفقه عني. وفي موضع آخر قال: يا أبا حفص ما اغتممت بأمر ولا أكربني أمر إلا خطرت فيه على بالي.

وقد كان لعمر أثر كبير على سليمان في إصدار عدد من القرارات النافعة ومن أهمها: عزل ولاة الحجّاج، وبعض الولاة الآخرين، كوالي مكة، خالد القسري ووالي المدينة عثمان بن حيان، ومنها الأمر بإقامة الصلاة في وقتها، فأورد ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز: أن الوليد ابن عبد الملك كان يؤخر الظهر والعصر، فلما ولي سليمان كتب إلى الناس - عن رأي عمر - أن الصلاة كانت قد أميتت فأحيوها. وهناك أمور أخرى أجملها الذهبي بقوله: مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها [2].

ومن حسنات سليمان عبد الملك قبوله لي نصيحة الفقيه العالم رجاء ابن حيوة الكندي الذي اقترح على سليمان في مرض موته أن يولي عمر بن عبد العزيز، وكانت وصية لم يكن للشيطان فيها

(1) سير أعلام النبلاء، 148/5، 149.
(2) الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 288.

نصيب، قال ابن سيرين: يرحم الله سليمان افتتح خلافته بإحياء الصلاة، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز، فعن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حيوة يقول: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضر من خز ونظر في المرآة فقال: أنا والله الملك الشاب فخرج إلى الصلاة يصلي بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل كتب كتاب عهده إلى ابنه أيوب، وهو غلام لم يبلغ فقلت: ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إنه مما يحفظ به الخليفة في قبره أن يستخلف الرجل الصالح، فقال سليمان: كتاب استخير الله فيه، وانظر، ولم أعزم عليه، فمكث يوما- أو يومين، ثم خرقه ثم دعاني، فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت هو غائب بقسطنطينية، وأنت لا تدري أحي هو أم ميت. قال: يا رجاء فمن ترى؟ قال: فقلت: رأيك يا أمير المؤمنين وأنا أريد أن أنظر من يذكر. فقال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله فاضلا- خيارا- مسلما-. فقال: هو على ذلك والله لئن وليته، ولم أول أحدا- من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ولا يتركونه أبدا- يلي عليهم إلا أن أجعل أحدهم بعده - ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم - قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنه ويرضون به، قلت: رأيك قال: فكتب بيده بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني وليته الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله، ولا تختلفوا، فيطمع فيكم. وختم الكتاب فأرسل إلى كعب بن حامد صاحب الشرطة أن مرّ أهل بيتي فليجتمعوا، فأرسل إليهم كعب، فجمعهم، ثم قال سليمان: لرجاء بعد اجتماعهم: أذهب بكتاب هذا إليهم، فاخبرهم، إنه كتابي ومرهم فليبايعوا من وليت. قال: ففعل رجاء، فلما قال لهم ذلك رجاء قالوا:

سمعنا وأطعنا لمن فيه، وقالوا: ندخل فنسلم على أمير المؤمنين، قال نعم. فدخلوا فقال لهم سليمان: هذا الكتاب - وهو يشير لهم وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حيوة - هذا عهدي، فاسمعوا، وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب. قال فبايعوا رجلا-. قال: ثم خرج بالكتاب مختوما- في يد رجاء. قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: يا أبا المقدام، إن سليمان كانت لي به حرمة ومودة، وكان بي برا- ملطفا-، فأنا أخشى أن يكون قد أسند إلي من هذا الأمر شيئا-، فأنشدك الله وحرمتي ومودتي، ألا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر الساعة. فقال رجاء: لا والله حرفا- واحدا-. قال: فذهب عمر غضبان. قال رجاء: ولقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء، إن لي بك حرمة ومودة قديمة وعندي شكر، فأعلمني أهذا الأمر إليّ؟ فإن كان إلي علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قصر به، ولا نحي عنه هذا الأمر، فأعلمني فلك الله لا أذكر اسمك أبدا-. قال رجاء: فأبيت وقلت لا والله لا أخبرك حرفا- واحدا- مما أسر إلي.

فانصرف هشام وهو يضرب بإحدى يديه على الأخرى، وهو يقول: فإلى من إذا نحيت عني؟ أتخرج من بني عبد الملك؟ فوالله إني لعين بني عبد الملك قال رجاء: ودخلت على سليمان بن عبد الملك، فإذا هو يموت. قال: فجعلت إذا أخذته سكرة من سكرات الموت، حرفته إلى القبلة، فجعل يقول وهو يفأق: لم يأت ذلك بعد يا رجاء. حتى فعلت ذلك مرتين. فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء، إن كنت تريد شيئا- أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا- عبده ورسوله. قال فحرفته، ومات، فلما أغمضته سجيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب، وأرسلت إلى زوجته تنظر إليه، كيف أصبح فقلت: نام

وقد تغطى، فنظر الرسول إليه، مغطى بالقطيفة فرجع، فأخبرها، فقبلت ذلك وظننت أنه نائم. قال رجاء: وأجلست على الباب من أثق به وأوصيته أن لا يريم حتى آتيه، ولا يدخل على الخليفة أحدا. قال: فخرجت، فأرسلت إلى كعب بن حامد العنسي، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق فقلت: بايعوا، قالوا: قد بايعنا مرة ونبايع أخرى! قلت: هذا أمير المؤمنين، بايعوا على ما أمر به، ومن سمى في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية رجلا- رجلا. قال رجاء: فلما بايعوا بعد موت سليمان، رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت قوموا إلى صحابكم فقد مات. قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون وقرأت عليهم الكتاب، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام: لا نبايعه أبدا. قال قلت: أضرب والله عنقك، قم فبايع. فقام يجر رجليه. قال رجاء: وأخذت بضبعي عمر، فأجلسته على المنبر وهو يسترجع، لما وقع فيه، وهشام يسترجع لما أخطاه فلما انتهى هشام إلى عمر، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أي حين صار هذا الأمر إليك على ولد عبد الملك، قال فقال عمر: نعم، فإنا لله وأنا إليه راجعون، حين صار إلي - لكراهتي له[1].

وبعد مبايعة عمر بن عبد العزيز بالخلافة صعد المنبر وقال في أول لقاء مع الأمة بعد استخلافه: أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه، ولا طلبة له، ولا مشورة من المسلمين وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم. فصاح الناس صيحة واحدة. قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فوّل أمرنا باليمن والبركة.. أما بعد فإنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد الكتاب

(1) تاريخ الطبري، 445/7، الطبقات، 335/5 - 338.

الذي أنزل عليه كتاب، ألا إن ما أحل الله حلال إلى يوم القيامة، ألا إني لست بقاض، ولكني منفذ، ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع، ألا إنه ليس لأحد أن يطاع في معصية الله، ألا إني لست بخيركم، ولكني رجل منكم غير أن الله جعلني أثقلكم حملا. أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس، و إلا فلا يقربنا: يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها، ويعيننا على الخير بجهده ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه، ولا يغتابن عندنا الرعية ولا يعترض فيما لا يعنيه. أوصيكم بتقوى الله، فإن تقوى الله خلف من كل شيء وليس من تقوى الله عز وجل خلف، واعملوا الآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دينه، وأصلحوا سرائركم، يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثروا من ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هادم اللذات.. وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم، ولا في كتابها وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحدا- باطلا-، ولا أمنع أحدا- حقا. ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال: يا أيها الناس، من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. وإن من حولكم من الأمصار والمدن فإن هم أطاعوا كما أطعتم فأنا وليكم، وإن هم نقموا فلست لكم بوال، ثم نزل [1].

وكان عمر بن عبد العزيز يرى أن المسئولية والسلطة هي القيام بحقوق الناس والخضوع لشروط بيعتهم، وتحقيق مصلحتهم المشروعة، فالخليفة أجير عند الأمة وعليه أن ينفذ مطالبها العادلة حسب شروط البيعة، وقد أحب الإستزاده من فهم صفات الإمام العادل

(1) البداية والنهاية، 657/12.

وما يجب أن يقوم به ليتصف بهذه الخصلة الفريدة الحميدة فكتب إلى الحسن البصري يسأله في ذلك فأجابه الحسن: الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا-، ويعلمهم كبارا- ، يكتب لهم في حياته ويدخرهم بعد مماته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البّرة الرفيقة بولدها، حملته كرها-، ووضعته كرها-، وربته طفلا-، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتمّ بشكايته، والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصيّ اليتامى، وخازن المساكين يربي صغيرهم، والإمام العدل يا أمير المؤمنين كقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه، وتفسد بفساده والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويُسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين، فيما ملَّكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدَّد، وشرَّد العيال، فأفقر أهله وفرَّق ماله.

ومن أوضح ملامح خلافة عمر بن عبد العزيز هي رده للمظالم حيث بدأ بنفسه، روى ابن سعد: أنه لما رد عمر بن عبد العزيز المظالم قال: إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي. وهذا الفعل جعله قدوة للآخرين، فنظر إلى ما في يديه من أرض، أو متاع، فخرج منه حتى نظر إلى فص خاتم. فقال: هذا مما كان الوليد بن عبد الملك أعطانيه مما جاءه من أرض المغرب فخرج منه. ونزع حلي سيفه من الفضة، وحلاه بالحديد، قال عبد العزيز بن عمر: كان سيف أبي محلى بفضة فنزعها وحلاه حديدا-.

ويروي ابن الجوزي عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز حتى تفرق الناس ودخل إلى أهله للقائلة فإذا منادٍ ينادي: الصلاة جامعة. قال: ففزعنا فزعا- شديدا- مخافة أن يكون قد

جاء فتق من وجه من الوجوه أو حدث. قال جويرية: وإنما كان أنه دعا مزاحما- فقال يا مزاحم، إن هؤلاء القوم قد أعطونا عطايا والله ما كان لهم أن يعطوناها، وما كان لنا أن نقبلها، وإن ذلك قد صار إلي ليس علي فيه دون الله محاسب. فقال له مزاحم: يا أمير المؤمنين، هل تدري كم ولدك؟ هم كذا وكذا، قال: فذرفت عيناه، فجعل يستدمع ويقول: أَكِلهم إلى الله؟ قال: ثم انطلق مزاحم من وجهه ذلك حتى استأذن على عبد الملك، فأذن له - وقد اضطجع للقائه - فقال له عبد الملك: ما جاء بك يا مزاحم هذه الساعة؟ هل حدث حدث؟ قال: نعم أشد الحدث عليك وعلى بني أبيك. قال: وما ذاك؟ قال: دعاني أمير المؤمنين - فذكر له ما قاله عمر - فقال عبد الملك: فما قلت له؟ قال: قلت له

يا أمير المؤمنين، تدري كم ولدك؟ هم كذا وكذا قال: فما قال لك؟ قال: جعل يستدمع ويقول أَكِلهم إلى الله تعالى. قال عبد الملك بئس وزير الدين أنت يا مزاحم. ثم وثب فانطلق إلى باب أبيه عمر، فاستأذن عليه، فقال له الآذن: أما ترحمونه ليس له من الليل والنهار إلا هذه الوقعة؟ قال عبد الملك: استأذن لي، لا أم لك. فسمع عمر الكلام، فقال من هذا؟ قال: هذا عبد الملك. قال: ائذن له. فدخل عليه - وقد اضطجع عمر للقائلة- فقال: ما حاجتك يا بني هذه الساعة؟ قال: حديث حدثنيه مزاحم. قال: فأين وقع رأيك من ذلك؟ قال: وقع رأيي على إنفاذه. قال: فرفع عمر يديه. ثم قال: الحمد لله الذي جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر ديني. نعم يا بني أصلي الظهر، ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رؤوس الناس. فقال عبد الملك: يا أمير المؤمنين، ومن لك إن بقيت إلى الظهر أن تسلم لك نيتك إلى الظهر.

قال عمر: قد تفرق الناس ورجعوا للقائلة، فقال عبد الملك: تأمر مناديك ينادي: الصلاة جامعة، فيجتمع الناس. فنادى المنادي: الصلاة جامعة. قال: فخرجت فأتيت المسجد فجاء عمر فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن هؤلاء القوم قد كانوا أعطونا عطايا، والله ما كان لهم أن يعطوناها وما كان لنا أن نقبلها. وإن ذلك قد صار إلي ليس علي فيه دون الله محاسب، ألا وإني قد رددتها، وبدأت بنفسي وأهل بيتي: اقرأ يا مزاحم، قال - وقد جيء بسفط قبل ذلك، أو قال جرنة - فيها تلك الكتب. قال: فقرأ مزاحم كتابا- منها، فلما فرغ من قراءته ناوله عمر - وهو قاعد على المنبر وفي يده جلم - قال: فجعل يقصه بالجلم. واستأنف مزاحم كتابا- آخر فجعل يقرؤه، فلما فرغ منه دفعه إلى عمر فقصه ثم استأنف كتابا- آخر فما زال حتى نودي بصلاة الظهر[1].

ومن بين ماردة عمر مما كان في يده من القطائع جبل الورس باليمن وقطائع باليمامة، إلى جانب فدك وخيبر، والسويداء، فخرج منها جميعا- إلا السويداء، فقد قال عمر فيها: ما من شيء إلا وقد رددته في مال المسلمين إلا العين التي بالسويداء فإني عمدت إلى أرض براح ليس فيها لأحد من المسلمين ضربة سوط، فعملتها من صلب عطائي الذي يجمع لي مع جماعة المسلمين وقد جاءت غلتها مائتا دينار. وأما قرية فدك - التي تقع شمال المدينة - فقد كانت تغل في السنة عشرة آلاف دينار تقريبا-، فلما ولي عمر الخلافة سأل عنها وفحصها، فأخبر بما كان من أمرها في عهد رسول الله صلى الله عليه

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز، ص107 - 108.

وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان.. فكتب - بناء على ذلك - إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كتابا- قال فيه: أما بعد فإني نظرت في أمر فدك وفحصت عنه، فإذا هو لا يصلح لي، ورأيت أن أردها على ما كنت عليه في عهد رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان، وأترك ما حدث بعدهم، فإذا جاءك كتابي هذا فاقبضها وولها رجلا- يقوم فيها بالحق والسلام. وأما الكتيبة فهي حصن من حصون خيبر.

وعندما تولى عمر بن عبد العزيز كتب على عامله على المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم يقول: إفحص لي عن الكتيبة، أكانت من خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خيبر أم كانت لرسول الله خاصة؟ قال أبو بكر: فسألت عمرة بنت عبدالرحمن فقالت: إن رسول الله لما صالح بني أبي الحقيق جزأ النطاة والشق خمسة أجزاء فكانت للكتيبة جزءا- منها، وأعادها عمر بن عبد العزيز إلى ما كانت إليه في عهد رسول الله، كما أرجع عمر للرجل المصري الذي أرضه بحلوان بعد أن عرف أن والده عبد العزيز قد ظلم المصري فيها، وحتى الدار التي كان والده عبد العزيز بن مروان قد اشترها من الربيع بن خارجه الذي كان يتيما- في حجره، ردها عليه، لعلمه أنه لا يجوز إشتراء الولي ممن يلي أمره، ثم التفت إلى المال الذي كان يأتيه من جبل الورس باليمن، فرده إلى بيت مال المسلمين رغم شدة حاجة أهله إلى هذا المال، لكنه كان يؤثر الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، كما أمر عمر بن عبد العزيز مولاه مزاحما- برد المال الذي كان يأتيه من البحرين كل عام إلى مال الله.

وهكذا بدأ عمر بنفسه يضرب المثل ويكون الأسوة أمام رعيته حين رد من أملاكه كل ما شابته شائبة الظلم، أو الشك في خلاص حقه فيه، فرد كل ذلك إلى أصحابه، إنطلاقا- من تمسكه بالزهد،

وإيمانه برد المظالم إلى أصحابها تقوى الله، ووضعا- للحق في نصابه، بعد أن انتهى من رد كل مال شك بأنه ليس له فيه حق اتجه إلى زوجته فاطمة بنت عبد الملك - وكان لها جوهر - فقال لها عمر: من أين صار هذا المال إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين، قال: إما أن ترديه إلى بيت المال وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت، وقد أوضح عمر لها سبب كرهه له بقوله: قد علمت حال هذا الجوهر وما صنع فيه أبوك، ومن أصابه، فهل لك أن أجعله في تابوت ثم أطبع عليه وأجلعه في أقصى بيت مال المسلمين وأنفق ما دونه، وإن خلصت إليه أنفقته، وإن مت قبل ذلك فلعمري ليردنه إليك. قالت له: أفعل ما شئت وفعل ذلك: فمات -رحمه الله - ولم يصل إليه، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك فامتنعت من أخذه، وقالت: ما كنت لأتركه ثم آخذه، وقسمه يزيد بين نسائه ونساء بنيه[1].

وإذا كان عمر قد بدأ بنفسه في رد المظالم فقد ثنى في ذلك بأهل بيته وبني عمومته وبإخوته من أفراد البيت الأموي، وفور فراغه من دفن بن عمه سليمان بن عبد الملك، فقد رأى ما أذهله وهو أن أبناء عمه من الأمويين أدخلوا الكثير من مظاهر السلطان التي لم تكن موجودة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أو خلفائه الراشدين، فأنفقوا الكثير من المال من أجل الظهور بمظاهر العظمة والأبهة أمام رعيتهم ومن تلك المظاهر المراكب الخلافية التي تتألف من براذين وخيول وبغال، ولكل دابة سائس، ومنها أيضا- تلك السرادقات والحجرات والفرش والوطاءات التي تعد من أجل الخليفة الجديد وفوجيء بتلك الثياب الجديدة وقارورات العطر والدهن التي أصبحت

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 290 - 302.

لـه بحجـة أن الخليفـة الراحـل لـم يصـبها فهـي مـن حقـه بصـفته الخليفـة الجديـد، وهـذا كلـه إسـراف وتبـذير لا مبـرر لـه يتحملـه بيـت مـال المسلمين، وهو بأمس الحاجة لكل درهم فيه لينفق في وجهه الصحيح الذي بينه الله ورسوله، وهنا أمر مولاه مزاحما- فور تقديم هذه الزينـة له ببيعها، وضم ثمنها إلى بيت مال المسلمين.

ولقد كانت لعمر بن عبد العزيز سياسة محددة في رد المظـالم مـن أفراد البيت الأموي تكون لديه خطوطها فور تسلمه زمام الخلافة، حين وفد عليه أفراد البيت الأموي عقب انصرافه من دفن سليمان يسألونه ما عودهم الخلفاء الأمويون من قبله، وحين أراد عبد الملك أن يرد أفراد البيت الأموي عن أبيه كشف لـه أبوه عن سياسته تلك حين قال له: وما تبلغهم؟ قال: أقول أبي يقرئكم السلام ويقول لكم: {ذ ث ث ثث ٹ ٹ ڈ ٹث} [الزمر: ١٣]. ثم أوضحها لـه مرة أخرى حين جاءه يطالبه بالإسراع باستخلاص ما بأيدي الأمويين من مظالم، فقال: يا بني، إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى ما أريد مكايدتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقا- تكثر فيه الدماء والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجمة من دم أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحي فيه سنة حتى يحكم الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين؟ ثم زاد في توضيح سياسته تلك حينما قال له ولده عبد الملك: ما يمنعك أن تمضي الذي تريد؟ فوالذي نفسي بيده ما أبالي لو غلت بك وبي القدور، قال وحق هذا منك، قال: نعم والله قال عمر: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يعينني على أمر ديني إني لو باهت الناس بالذي تقول لم آمن أن ينكروها، فإذا أنكروها لم أجد بدا- من السيف ولا خير في خير لا يجيء إلا

بالسيف، يا بني، إني أروض الناس رياضة الصعبة، فإن بطأ بي عمر أرجو أن ينفذ الله مشيئتي وأن تعدو منيتي فقد علم الله الذي أريده [1].

وشهدت الأيام الأولى من خلافة عمر تجريدا- واسع النطاق لكثير من أموال وأملاك بني أمية، ظلت تنمو في الماضي وتتضخم لكونهم العائلة الحاكمة ليس إلا.. وها هي الآن ترد إلى بيت مال المسلمين لكي يأخذ العدل مجراه، وتعود أموال المسلمين إلى المسلمين، لا يستأثر بها أحد دون أحد، ولا حزب دون حزب.. أموال وأملاك من شتى الصنوف والأنواع، جمعت بمختلف الطرق وسائر الأساليب جرد عمر بني أمية منها ومزق مستنداتها واحدة واحدة، وردها إلى مكانها الصحيح: مظالم وجوائز وهدايا ومخصصات استثنائية وضياع وقطاع، جمعت كلها على شكل ممتلكات ثابتة ونقود سائلة بلغت في تقدير عمر شطرا- كبيرا- من أموال الأمة جاوزت النصف، ولا تمضي سوى أيام معدودات حتى يجد بنو أمية أنفسهم مجردين إلا من حقهم الطبيعي المشروع، فيضجون ضد سياسة عمر هذه ويعلنون معارضتهم الصارمة لها، فماذا يكون جواب عمر. انظروا: والله لوددت أن ألا تبقى في الأرض مظلمة إلا ورددتها على شرط ألا أرد مظلمة إلا سقط لها عضو من أعضائي أجد ألمه ثم يعود كما كان حيا-، فإذا لم يبق مظلمة إلا رددتها سألت نفسي عندها، ولكن بني أمية لم ييأسوا من هذا الحزم والعزم إزاء حقوق الأمة، وهم الذين ما خطر ببالهم يوما- أن يجردوا هذا التجريد فاجتمعوا وطلبوا من أحد أولاد الوليد وكان كبيرهم ونصيحهم، أن يكتب إلى عمر، فكتب إليه: أما بعد فإنك أنسيت ممن كان قبلك من الخلفاء وسرت بغير سيرتهم وسميتها المظالم نقصا- لهم لأعمالهم، وشاتما- لمن كان بعدهم من

(1) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص260 - 263.

أولادهم ولم يكن ذلك لك، فقطعت ما أمر الله أن يوصل، وعملت بغير الحق في قرابتك وعمدت إلى أموال قريش ومواريثهم وحقوقهم فأدخلتهم بيت مالك ظلما- وجورا- وعدوانا- فاتق الله يا ابن عبد العزيز وارجعه، فإنك قد أوشكت لم تطمئن على منبرك إن خصصت ذوي قربتك بالقطيعة والظلم، فوالله الذي خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصه من الكرامة لقد ازددت من الله بعدا- في ولايتك هذه التي تزعم أنها بلاء عليك، وهي كذلك، فاقتصد في بعض ميلك وتحاشيك، وكان رد عمر حمما من نار الحق تتفجر في كل كلمة فيها:.. ويلك وويل أبيك ما أكثر طلابكما وخصماءكما يوم القيامة.. رويدك فإنه لو طالت بي حياة ورد الله الحق إلى أهله، تفرغت لك ولأهل بيتك، فأقمت على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وراءكم.

ولما أن يأس بنو أمية من صمود عمر إزاء معارضتهم الجماعية الشديدة هذه، لجأوا إلى أسلوب الحوار الهادي، علهم يصلون عن طريقه إلى ما يشتهون فيتكلمون معه يوما- مستشيرين فيه نزعة القربى وعاطفة الرحم، فيجيبهم: أن يتسع مالي لكم، وأما هذا المال - أي المال العام - فحقكم فيه كحق أي رجل من المسلمين. والله أني لا أرى أن الأمور لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم لنزلت بهم بائقة من عذاب الله، ودخل عليه هشام بن عبد الملك يوما- فقال: يا أمير المؤمنين إني رسول قومك إليك، وإن في أنفسهم ما جئت لأعلمك به أنهم يقولون: إستأنف العمل برأيك فيما تحت يدك وخل بين من سبقك وبين ما ولوا بما عليهم ولهم، وببديهة يجيب عمر: أرأيت أن أتيت بسجلين أحدهما من معاوية والآخر من عبد الملك فبأي السجلين آخذ؟ قال هشام: بالأقدم. فأجاب عمر: فإني

وجدت كتاب الله الأقدم، فأنا حامل عليه من أتاني ممن تحت يدي وفيما سبقني.

وعندما عجز الرجال من بني أمية عن جعل عمر يخاف أو يلين عن سياسته إزاءهم، لجأوا إلى عمته فاطمة بنت مروان، وكانت عمته هذه لا تحجب عن الخلفاء ولا يرد لها طلب أو حاجة، وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل استخلافه، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها كعادته وألقى لها وسادة لتجلس عليها. فقالت: إن قرابتك يشكونك ويذكرونك أنك أخذت منهم خير غيرك قال: ما منعتهم حقا- أو شيئا- كان لهم، ولا أخذت منهم حقا- أو شيئا- كان لهم فقالت: إني رأيتهم يتكلمون، وإني أخاف أن يهيجوا عليك يوما- عصيبا-. فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة فلا وقاني الله شره. قال: فدعا بدينار، وجنب، ومجمرة، فألقى ذلك الدينار بالنار، وجعل ينفح على الدينار إذا احمر تناوله بشيء، فألقاه على الجمر فنشى وقتر فقال: أي عمه أما ترثين لابن أخيك من هذا؟.. إن الله بعث محمدا- صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا- إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا- شربهم فيه سواء ثم ولي أبو بكر وترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل عملهما، ثم يزل النهر يستقي منه يزيد ومروان وعبد الملك وابنه الوليد وسليمان أبناء عبد الملك حتى أفضى الأمر إلي وقد يبس النهر الأعظم فلم يرو أصحابه حتى يعود إلى ما كان عليه فقالت: حسبك، قد أردت كلامك فأما إذا كانت مقالتك هذه فلا أذكر شيئا- أبدا-. فرجعت إليهم فأخبرتهم كلامه وجاء في رواية: إنها قالت لهم:.. أنتم فعلتم هذا بأنفسكم،

تزوجتم بأولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبه جده: فسكتوا[1]

ثم نادي عمر بن عبد العزيز أن كل من له حق على أمير أو جماعة من بني أمية أو لحقته منهم مظلمة، فليتقدم بالبينة لكي يرد عليه حقه.. وتقدم عدد من الناس بظلامتهم وبيّناتهم وراح عمر يردها واحدة بعد الأخرى: أراضٍ ومزارع وأموال وممتلكات، ومرة بعث إليه واليه على البصرة برجل اغتصب أرضه فرد عمر هذه الأرض إليه ثم قال له: كم أنفقت في مجيئك إلي؟ قال: يا أمير المؤمنين تسألني عن نفقتي وأنت قد رددت علي أرضي وهي خير من مائة ألف؟ فأجابه عمر: إنما رددت عليك حقك، ثم ما لبث أن أمر له بستين درهما- كتعويض له عن نفقات سفره.

وقد قال ابن موسى: ما زال عمر بن عبد العزيز يردّ المظالم منذ يوم استخلف إلى يوم مات، وذات يوم قدم عليه نفر من المسلمين وخاصموا روح بن الوليد بن عبد الملك في حوانيت، قد قامت لهم البينة عليه، فأمر عمر روحا- برد الحوانيت إليهم، ولم يلتفت لسجل الوليد، فقام روح فتوعدهم، فردع رجل منهم وأخبر عمر بذلك، فأمر عمر صاحب حرسه أن يتبع روحا- فإن لم يرد الحوانيت إلى اصحابها فليضرب عنقه، فخاف روح على نفسه وردّ إليهم حوانيتهم، وردّ عمر أرضا- كان قوم من الأعراب أحيوها، ثم انتزعها منهم الوليد بن عبد الملك فأعطاها بعض أهله، فقال عمر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:.. من أحيا أرضا- ميتة فهي له، ولقد أحبّ آل البيت وأعاد إليهم حقوقهم وقال مرة لفاطمة بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: يا بنت علي والله ما على ظهر الأرض أهل بيت

(1) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص117، الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 303 - 306.

أحبّ إليَّ منكم ولأنتم أحب إليَّ من أهل بيتي[1].

كما عمد عمر بن عبد العزيز إلى عزل جميع الولاة والحكام المسؤولين الظالمين فعزلهم عن مناصبهم، ومنهم خالد بن الريان وصاحب حرس سليمان بن عبد الملك الذي كان يضرب كل عنق من أمره سليمان بضربها، وعين محله عمرو بن مهاجر الأنصاري فقال عمر ابن عبد العزيز: يا خالد ضع هذا السيف عنك، اللهم، إني قد وضعت لك خالد بن الريان اللهم لا ترفعه أبدا-، ثم قال لعمرو بن مهاجر: والله؟ إنك لتعلم يا عمرو، إنه ما بيني وبينك قرابة إلا قربة الإسلام ولكني سمعتك تكثر تلاوة القرآن، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألا يراك أحد، فرأيتك حسن الصلاة خذ هذا السيف قد وليتك حرسي[2].

وكان من ضمن من عزلهم عمر بن عبد العزيز: أسامة بن زيد التنوخي وكان على خراج مصر، لأنه كان غاشما- ظلوما- يعتدي في العقوبات بغير ما أنزل الله عز وجل، يقطع الأيدي في خلاف - دون تحقق شروط القطع - فأمر به عمر بن عبد العزيز أن يحبس في كل مدينة سنة ويقيد ويحل عنه القيد عند كل صلاة ثم يرد في القيد، فحبس بمصر سنة، ثم فلسطين سنة ثم مات عمر وولي يزيد بن عبد الملك الخلافة فردّ أسامة على مصر في عمله، وكتب عمر بن عبد العزيز بعزل يزيد ابن أبي مسلم عن إفريقية وكان عامل سوء يظهر التأله والنفاد لكل ما أمر به السلطان مما جل أو صغر من السيرة بالجور، والمخالفة للحق، وكان في هذا يكثر التسبيح والذكر ويأمر بالقوم فيكونون بين يديه يعذبون وهو يقول: سبحان الله والحمد لله شد

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 307.
(2) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص50.

يا غلام موضع كذا وكذا، لبعض مواضع العذاب وهو يقول: لا إله إلا الله والله أكبر، شد يا غلام شد موضع كذا وكذا، فكانت حالته تلك شر الحالات، فكتب عمر بعزله[1].

وكان الموالي قد تعرضوا قبل عمر بن عبد العزيز للمظالم فقد فرضت الجزية على من أسلم منهم، كما منعوا من الهجرة مثلما حدث للموالي في العراق ومصر وخراسان وفي عهد عبد الملك أوقع الحجّاج بالموالي ظلم عظيم، فقد عمل على إبقاء الجزية على من أسلم منهم، وحرمهم من الهجرة من قراهم وهذا ما دفعهم للاشتراك في ثورة ابن الأشعث ضد الحجّاج، كما وقع الظلم على الموالي في مصر وخراسان، فلما تولى عمر بن عبد العزيز أزال تلك المظالم التي لحقت بهؤلاء الموالي وكتب إلى عماله يقول "‥ فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي من أهل الجزيرة اليوم فخالط المسلمين في دارهم، وفارق داره التي كان بها فإن له للمسلمين وعليه ما عليهم، وعليهم أن يخالطوه وأن يواسوه غير أرضه وداره إنما هي من فيء الله على المسلمين عامة، ولو كانوا أسلموا عليها قبل أن يفتح الله للسلمين كانت لهم، ولكنها فيء الله على المسلمين عامة.

وكتب إلى عامله على مصر حيان بن شريح - يقول: وأن تضع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة فإن الله تبارك وتعالى قال:{ۇۆۆۈۇ ۋۋۅۅۉۉې} [التوبة: ٥]، وقال:{چچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ} [التوبة: ٢٩]. إلا إن هذا العامل أرسل إلى عمر يقول: أما بعد، فإن الإسلام قد أضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن نابتة عشرون ألف دينار أتممتها عطاء أهل الديوان، فإن

(1) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص32 - 33، الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 310.

رأى أمير المؤمنين أن يأمر بقضائها فعل. وجاء رد عمر: أما بعد، فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وأنا عارف بضعفك، وقد أمرت رسولي يضربك على رأسك عشرين سوطا-، فضع الجزية عن من أسلم - قبح الله رأيك - فإن الله إنما بعث محمدا- صلى الله عليه وسلم هاديا- ولم يبعثه جابيا-، ولعمري ولعمر أشقى من أن يدخل الناس كلهم الإسلام على دينه.

وفي رواية ابن سعد: أما بعد، فإن الله بعث محمدا- داعيا- ولم يبعثه جابيا-، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كان أهل الذمة أسرعوا في الإسلام وكسروا الجزية فاطو كتابك وأقبل.

ولم يكن عامل عمر على مصر هو الوحيد الذي طلب من عمر السماح له في أخذ الجزية ممن أسلم، فها هو عامله على الكوفة - عبد الحميد بن عبد الرحمن - يسأله أخذ الجزية المتراكمة على اليهود والنصارى والمجوس الذين أسلموا، فجاءه رد عمر الواضح أيضا- يقول: كتبت إلي تسألني عن أناس من أهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة، وتستأذنني في أخذ الجزية منهم، وإن الله جل ثناؤه بعث محمدا- صلى الله عليه وسلم داعيا- إلى الإسلام ولم يبعثه جابيا-، فمن أسلم من أهل تلك الملل فعليه في ماله الصدقة ولا جزية عليه، وميراثه ذوي رحمه إذا كان منهم يتوارثون أهل الإسلام، وإن لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بين المسلمين، وما أحدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه والسلام.

كما كتب إليه عامله على البصرة - عدي بن أرطأة - يقول: أما بعد، فإن الناس كثروا في الإسلام وخفت أن يقل الخراج. فكتب إليه عمر: فهمت كتابك، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا

وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا[1].

ومن المواقف التليدة التي يذكر بها دائما- عمر بن عبد العزيز إقامته العدل لأهل سمرقند فيروي أنه لما وصل خبر تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة إلى سكان ما وراء النهر، اجتمع أهل سمرقند وقالوا لسليمان ابن أبي السرّي: إن قتيبة غدر بنا، وظلمنا وأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والانصاف، فإذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين، يشكو ظلامتنا، فإن كان لنا حق أعطيناه، فإن بنا إلى ذلك حاجة. فإذن لهم سليمان، فوجهوا منهم قوما- فقدموا على عمر، فكتب لهم عمر إلى سليمان بن السري: إن أهل سمرقند، قد شكوا إليَّ ظلما- أصابهم، وتحاملا- من قتيبة عليهم أخرجهم من أرضهم فإذا أتاك كتابي، فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة. فأجلس سليمان جُمَيْعَ بن حاضر القاضي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحا- جديدا- أو ظفرا- عنوة، فقال أهل الصُّغد: بل نرضى بما كان ولا نجدِّد حربا-، وتراضوا بذلك، فقال أهل الرأي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم، وأمنونا وأمنّاهم، فإن حكم لنا عدْنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا اجتلبنا عداوة في المنازعة، فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا[2].

(1) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص99 - 100، عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم، ص233، الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 312.
(2) تاريخ الطبري، 472/7.

هذا هو عمر بن عبد العزيز في دولته التي أقامها على العدل وكان رحمه الله يعلم ولاته أنه بالعدل تستقيم الحياة بكل شئونها فلما أرسل إليه بعض عماله يقول: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالا- نرمّها به فعل. فكتب إليه عمر: أما بعد، فقد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصِّنها بالعدل، ونَقِّ طرقها من الظلم، فإنَّه مرمَّتها والسلام[1].

وكتب إلى بعض عماله: إن قدرت أن تكون في العدل والإحسان والإصلاح كقدر من كان قبلكم في الجور والعدوان والظلم، فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله[2].

وكتب إلى أبي بكر بن حزم: أن استبرئ الدواوين، فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فردَّه إليه، فإن كان أهل تلك المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم[3].

وحتى الحيوانات نالهن عدله وانصافه ورفع الظلم فقد نهي عن نخس الدابة بالحديدة وعن اللجم الثقال، فعن عبيد الله بن عمر: أن عمر بن عبد العزيز نهى أن يجعل البريد في طرف السوط حديدة ينخس بها الدابة، ونهى عن اللجم الثقال، وقد أصدر أوامره بمنع استخدام اللجم الثقيلة مع الخيول والبغال، كما منع استخدام المناخس ذات الرؤوس الحديدة.

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص23.
(2) الطبقات، 383/5 - 384.
(3) الطبقات، 342/5 - 343.

وحين بلغه أن قوما- يحملون على الجمال ما لا تطيق وذلك في مصر كتب إلى واليها يحدد أقصى حمولة للبعير بستمائة رطل وطلب منه إبلاغ قراره هذا الناس وأمره بتنفيذه[1].

ولسوء حظ الأمة الإسلامية بل والعالم أجمع أنه لم يدم حكم عمر ابن عبد العزيز، فمرض ومات سريعا ولم يطل مقامه بالخلافة، واختلفت الروايات عن سبب مرضه وموته عمر بن عبد العزيز فعلى حين تذكر الروايات أن سبب مرضه وموته هو الخوف من الله تعالى والاهتمام بأمر الناس كما روي عن زوجته فاطمة بنت عبد الملك وكما ذكر ابن سعد، إلا أنه قد ذكر سبب آخر لموته وهو أنه سقي السم وذلك أن بني أمية قد تبرموا وضاقوا ذرعا- من سياسة عمر بن عبد العزيز التي قامت على العدل وحرمتهم من ملذاتهم وتمتعهم بميزات لا ينالها غيرهم، بل جعل بني أمية مثل أقصى الناس في أطراف دولة الإسلام ورد المظالم التي كانت في أيديهم وحال بينهم وبين ما يشتهون، فكاد له بعض بني أمية بوضع السم في شرابه[2].

وهذا ليس من المستبعد أو المستغرب أن يعمد أحد هؤلاء إلى سقيه السم ليتخلص منه وليكن ذلك عن طريق خادمه الذي يقدم له الطعام والشراب، فقد روي أنهم وعدوا غلامه بألف دينار وأن يعتق إن هو نفذ الخطة فكان الغلام يضطرب كلما هم بذلك، ثم إنهم هددوا الغلام بالقتل إن هو لم يفعل، فلما كان مدفوعا- بين الترغيب والترهيب حمل السم فوق ظفره، ثم لما أراد تقديم الشراب لعمر قذف السم فيه ثم قدمه إلى عمر فشربه ثم حس به منذ أن وقع في بطنه[3].

(1) محمد شقير، فقه عمر بن عبد العزيز، 575/2، الصلابي، الدولة الأموية، 3 / 320.
(2) فقه عمر بن عبد العزيز، 43/1.
(3) ابن الجوزي، سيرة عمر، ص316، 317.

وعن مجاهد قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول الناس في؟ قلت: يقولون إنك مسحور. قال: ما أنا بمسحور ثم دعا غلاما- له فقال له: ويحك ما حملك على أن تسقيني السم؟ قال: ألف دينار أعطيتها وعلى أن أعتق، قال: هات الألف فجاء بها فألقاها عمر في بيت المال. وقال: أذهب حيث لا يراك أحد.

فالسبب المباشر لمرضه وموته فهو كما ذكرت الروايات كان بسبب سقيه السم[1].

ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أفغرت أفواه ولدك من هذا المال، فلو أوصيت بهم إليَ وإلى نظرائي من قومك فكفوك مؤونتهم، فلما سمع مقالته: قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: قد سمعت مقالتك يا مسلمة، أما قولك: إني قد أفغرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقا- هو لهم ولم أكن لأعطيهم شيئا- لغيرهم، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم:{ٱب ب ب پ پپ پ پ پ پ} [الأعراف: ١٩٦]. وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما صالح فسيغنيه الله، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على معصية الله ادع لي بني، فأتوه فلما رآهم ترقرقت عيناه، وقال: بنفسي فتية تركتهم عالة لا شيء لهم - وبكى -: يا بني إني قد تركت لكم خيرا- كثيرا-، لا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقا- يا بني إني قد مثلت بين الأمرين: إما أن تستغنوا وأدخل النار، أو تفتقروا إلى أخر يوم الأبد وأدخل الجنة، فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إلي، قوموا عصمكم الله، قوموا رزقكم الله. وجاء في رواية: أن عمر وصى

(1) فقه عمر بن عبد العزيز، 44/1.

مسلمة أن يحضر موته وأن يلي غسله وتكفينه، وأن يمشي معه إلى قبره، وأن يكون مما يلي إدخاله في لحده، ثم نظر إليه وقال: انظر يا مسلمة بأي منزل تركتني، وعلى أي حال أسلمتني إليه الدنيا فقال له مسلمة: هذه مائة ألف دينار، فأوصي فيها بما أحببت، قال: أو خير من ذلك يا مسلمة؟ أن تردها من حيث أخذتها، قال مسلمة: جزاك الله عنا خيرا- يا أمير والله لقد ألنت قلوبا- قاسية، وجعلت لنا ذكرا- في الصالحين[1].

وتوفي الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رجب سنة (101هـ) على أصح الروايات واستمر معه المرض عشرين يوما- وتوفي بدير سمعان من أرض المعرة بالشام بعد خلافة استمرت سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيا م وتوفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة وخمسة أشهر وعلى أصح الروايات وكان عمره لما توفي أربعين سنة[2].

ثناء الناس على عمر بن عبد العزيز:

قال مسلمة بن عبد الملك حين توفي عمر ورآه مسجى: يرحمك الله لقد لينت لنا قلوبا- قاسية وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا-[3].

قال وهيب بن الورد: بلغنا أن عمر بن عبد العزيز لما توفي جاء الفقهاء إلى زوجته يعزونها، فقالوا لها: جئناك لنعزيك بعمر، فقد عمت مصيبة الأمة، فأخبرينا يرحمك الله عن عمر: كيف كانت حاله في بيته؟ فإن أعلم الناس بالرجل أهله. فقالت: والله ما كان عمر بأكثركم صلاة ولا صياما- ولكني والله ما رأيت عبدا- لله قط أشد

(1) ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص115، 116، 122، 123.
(2) تاريخ القضاعي، ص363، الصلابي، الدولة الأموية، 4 / 235.
(3) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص329.

خوفا- لله من عمر، والله إن كان ليكون من المكان الذي ينتهي إليه سرور الرجل بأهله، بيني وبينه لحاف، فيخطر على قلبه الشيء من أمر الله، فينتفض كما ينتفض طائر وقع في الماء، ثم يشجب، ثم يرتفع بكاؤه حتى أقول: والله لتخرجن نفسه فأطرح اللحاف عني وعنه، رحمة له وأنا أقول: يا ليتنا كان بيننا وبين هذه الإمارة بعد المشرقين، فوالله ما رأينا سرورا- منذ دخلنا فيها[1].

لما أتى الحسن البصري موت عمر بن عبد العزيز قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، يا صاحب كل خير[2].

وقال مكحول: ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز.

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن البصري وعمر ابن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما[3].

عن الأوزاعي قال: شهدت جنازة عمر بن عبد العزيز، ثم خرجت أريد مدينة قنسرين فمررت على راهب فقال: يا هذا أحسبك شهدت وفاة هذا الرجل قال: فقلت له: نعم فأرخى عينيه فبكى سجاما-، فقلت له: ما يبكيك ولست من أهل دينه؟ فقال: إني لست أبكي عليه، ولكن أبكي على نور كان في الأرض فطفئ[4].

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 4 /310.
(2) فقه عمر بن عبد العزيز، 53/1.
(3) صفة الصفوة، 156/3.
(4) ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص331.

وكان عمر بن عبد العزيز قد بعث وفدا- إلى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين، وحق يدعوه إليه، فلما دخلوا إذا ترجمان يفسر عليه وهو جالس على سرير ملكه، والتاج على رأسه والبطارقة على يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه، فأدى إليه ما قصدوه له فتلقاهم بجميل وأجابهم بأحسن الجواب، وانصرفوا عنه في ذلك اليوم، فلما كان في غداة غد أتاهم رسوله، فدخلوا عليه، فإذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه، وقد تغيرت صفاته التي شاهدوه عليها كأنه في مصيبة، فقال: هل تدرون لماذا دعوتكم؟ قالوا: لا قال: إن صاحب مصلحتي التي تلي العرب جاء في كتابه في هذا الوقت: أن ملك العرب الرجل الصالح قد مات، فما ملكوا أنفسهم أن بكوا، فقال: ألكم تبكون، أو لدينكم أو له؟ قالوا: نبكي لا نفسنا ولديننا وله قال: لا تبكوا له، وأبكوا لا نفسكم ما بدا لكم، فإنه خرج إلى خير مما خلف، وقد كان يخاف أن يدع طاعة الله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا ومخافته، لقد بلغني من بره وفضله وصدقه ما لو كان أحد بعد عيسى يحيى الموتى لظننت أنه يحيي الموتى، ولقد كانت تأتيني أخباره باطنا- و ظاهرا- فلا أجد أمره مع ربه إلا واحدا- بل باطنه أشد حين خلوته بطاعة مولاه، ولم أعجب لهذا الراهب الذي ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته، ولكني عجبت من هذا الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها، حتى صار مثل الراهب، إن أهل الخير لا يبقون مع أهل الشر إلا قليلا- [1].

(1) فقه عمر بن عبد العزيز، 54/1.

ما قيل فيه من رثاء:

أ ـ كثير عزّة قال فيه:

عمّت صنائعه فعم هلاكه : فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد : في كل دار رنة وزفير
يثني عليك لسانك من لم توله : خيرا ـ لأنك بالثناء جدير
ردَت صنائعه عليه حياته : فكأنه من نشرها منشور

وقال جرير:

ينعى النعاة أمير المؤمنين لنا : يا خير من حج بيت الله
حملت أمرا ـ عظيما ـ : واعتمرا
فاضطلعت به : وقمت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس كاسفة ليست بطالعة : تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال محارب بن دثار:

لو أعظم الموت خلقا ـ أن : لعدله لم يصبك الموت يا عمر
يواقعه : كادت تموت وأخرى منك تنتظر
كم من شريعة عدل قد نعشت : على العدول التي تغتلها الحفر
لهم
يا لهف نفسي ولهف الواجدين : سقيا لها سنن بالحق تفتقر
معي
وأنت تتبعهم لم تأل مجتهدا ـ : تأتي رواحا ـ وتبيانا ـ
لو كنت أملك والأقدار غالبة : وتبتكر[1]

(1) البداية والنهاية، 718/12.

رحم الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وأعلى ذكره في المصلحين فهذه معالم من سيرته الإصلاحية التجديدية الراشدية التي سار بها على منهاج النبوة، وقد حفظ الله لنا هذه السيرة ولم تهملها الليالي، ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون فلعلها تجد من يسير على نهجه من حكامنا وزعمائنا وقادتنا وما ذلك على الله بعزيز في جيلنا أو في غيره [1].

مواقف من حياته - رضي الله عنه -:

إن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا:

وكتب حيان عامل مصر الى عمر بن عبد العزيز إن الناس قد أسلموا فليس جزية فكتب إليه عمر أبعد الله الجزية إن الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا للجزية [2].

اختبره ونفاه:

وقدم الفرزدق على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فأكرمه وأحسن ضيافته. فبلغه أنّه زانٍ فأراد أن يختبر ذلك، فقال لجاريةٍ له: انطلقي إلى الفرزدق، وعمر في حجرةٍ له ينظر ما يصنع الفرزدق، فأتته الجّارية بالغسل والدّهن، وذهبت لتغسل رأسه، فوثب عليها فركضته وقالت: لعنك الله من شيخ. ثمّ خرجت فأتت عمر فأخبرته فنفاه من المدينة. وقال جرير:

نفاك الأعزّ بن عبد العزيز ⁝ وحقّك تنفى من المسجد

(1) الصلابي، الدولة الأموية، 4/ 450 - 455 بتصرف كبير.
(2) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص96.

فقال الفرزدق:

فـــأوعني وأجلّنـــي ثلاثـــا ⁝ كما وعدت بمهلكها ثمود (1)

خبثا- كله:

قال الأصمعي: وفد فلان بن أبي بردة على عمر بن عبد العزيز وهو بحاضرة، فلزم سارية من المسجد يصلي إليها بحسن الركوع الخشوع وعمر بن عبد العزيز ينظر إليه فقال عمر للعلاء بن المغيرة وكان خصيصا- بعمر. فقال له العلاء بن المغيرة: أنا آتيك يا أمير المؤمنين بخبره فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء فقال له اشفع صلاتك فإن لي حاجة فلما سلم من صلاته قال له العلاء تعرف منزلتي وموضعي من أمير المؤمنين فإني أن أشرت عليك أني وليك العراق ما تجعل لي قال عمالتي سنة، وكان مبلغها عشرين ومائة ألف. قال فاكتب لي على ذلك خطا- فقام من وقته فكتب له خطا- بذلك فحمل ذلك الخط إلى عمر ابن عبد العزيز فلما قرأه كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان واليا- على الكوفة: أما بعد فان بلال غرنا بالله فكدنا نغتر به ثم سبكناه فوجدناه خبثا- كله (2).

الشعراء على باب عمر بن عبد العزيز:

عن عوانة بن الحسك، قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد الشعراء إليه فأقاموا ببابه أياما- لا يؤذن لهم، الرحيل، إذ مر بهم رجاء ابن حيوة. وكان من خطباء أهل الشام فلما رآه جرير داخلا- على عمر أنشأ يقول:

(1) ابن الجوزي، أخبار النساء، ص53.
(2) ابن الجوزي، الأذكياء، ص 25.

يا أيها الرجل المرخي عمامته ⁝ هذا زمانك فاستأذن لنا عمرا

قال: فدخل ولم يذكر من أمرهم شيئا-، ثم مر بهم عدي بن أرطأة، فقال له جرير:

يا أيها الراكب المزجي مطيته ⁝ هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه ⁝ أني لدى الباب كالمصفود في قرن
لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة- ⁝ قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال: فدخل عدي على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين! الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة، قال: ويحك يا عدي! ما لي وللشعر، قال: أعز الله أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فأعطى، ولك في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوت حسنة، فقال: كيف؟ قال: امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة قطع بها لسانه، قال: أو تروي من قوله شيئا-؟ قال: نعم، وأنشد:

رأيتك يا خير البرية كلها ⁝ نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا ⁝ عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمرا- مدنسا- ⁝ وأطفأت بالبرهان نارا- تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا- أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه ⁝ وكل امرئ يجزى بما كان قدما
تعالى علوا- فوق عرش إلهنا ⁝ وكان قديما- ركنه قد تهدما
وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال ويحك يا عدي! من بالباب منهم؟ قال: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة، قال: أليس هو الذي يقول:

ثم نبهتها فهبت كعابا ... طفلة ما تبين رجع الكلامِ
ساعة ثم إنها بعد قالت ... ويلتا قد عجلت يا ابن الكرامِ
أعلى غير موعدٍ جئت تسري ... تتخطى إلي روس النيامِ
ما تجشمت ما يزين من الأم ... رِ ولا جئت طارقا لخصامِ

فلو كان عدو الله إذ فجر كتم نفسه، لا يدخل علي والله أبدا، فمن بالباب سواه؟ قال: همام بن غالب، يعني الفرزدق، قال: أوليس هو الذي يقول:

هما دلتاني من ثمانين قامة ... كما انقض بازٍ أقتم الريش
فلما استوت رجلاي بالأرض ... كاسرُهُ
قالت ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره

لا يطأ والله بساطي، فمن سواه بالباب منهم؟ قال: الأخطل، قال: أليس هو الذي يقول:

ولست بصائم رمضان طوعا ... ولسب بآكل لحم الأضاحي
ولست بزاجر عنسا بكور ... إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو ... قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا ... وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل علي وهو كافر أبدا-، فهل بالباب سوى من ذكرت؟ قال: نعم الأحوص، قال: أليس هو الذي يقول:

الله بينـــي وبـــين ســـيدها :: يفـــر منـــي بهـــا وأتبعـــه

غرب عنه، فما هو بدون من ذكرت، فمن هاهنا أيضا-؟ قال: جميل ابن معمر قال: يا عدي هو الذي يقول:

ألا ليتنا نحيا جميعا- وإن تمت :: يوافـق فـي مـوتي ضـريحي
فما أنا في طول الحياة براغبٍ : ضـــــــــــــــريحها
:: إذا قيـــل قـــد ســـوي عليهـــا
: صـــــــــــــــفيحها

فلو كان عدو الله تمنى لقائها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا-، والله لا يدخل علي أبدا-، هل سوى من ذكرت أحد؟ قال: جرير بن عطية، قال: أما إنه الذي يقول:

طرقتك صائدة القلوب وليس :: حين الزيـارة فـارجعي بسلامِ
ذا :

فإن كان لا بد فهو، قال فأذن لجرير، فدخل وهو يقول:

::
إن الـذي بعث النبـي محمـدا- : جعل الخلافة في الإمام العادلِ
وسـع الخلائـق عدلـه ووفـاؤه :: حتى ارعوى وأقام ميل المائلِ
إني لأرجو منك خيرا- عاجلا- : والـنفس مولعـة بحـب العاجلِ
::
:

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير، اتق الله ولا تقولن إلا حقا-، فأنشأ جرير يقول:

أأذكـر الجهـد والبلـوى التـي :: أم قـد كفـاني مـا بلغـت مـن
نزلـــــــــــــــت : خبـــــــــــــــري
كم باليمامـة من شعثاء أرملـةٍ :: ومـن يتـيم ضـعيف الصـوت

ممن يعدّك تكفي فقد والده : والنظر
يدعوك دعة ملهوفٍ كأن به :: كالفرخ في العش لم ينهض
خليفة الله ماذا تأمرون بنا : ولم يطر
ما زلت بعدك في هم يؤرقني :: خبلا- من الجن أو مسا- من
لا ينفع الحاضر المجهود : النشرِ
بادينا :: لسنا إليكم ولا في دار منتظرِ
إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا : قد طال في الحي إصعادي
نال الخلافة إذ كانت له قدرا- :: ومنحدري
هذي الأرامل قد قضيت : ولا يعود لنا بادٍ على حضر
حاجتها :: من الخليفة ما نرجو من
الخير ما دمت حيا- لا يفارقنا : المطر
:: كما أتى ربه موسى على قدر
: فمن لحاجةٍ هذا الأرمل الذكر
:: بوركت يا عمر الخيرات من
: عمرِ
::
:
::
:

فقال: يا جرير! ما أرى لك هاهنا حقا-، فقال: بلى يا أمير المؤمنين، أنا ابن سبيل ومنقطع بي، فأعطاه من صلب ماله مائة درهم، وقد ذكر أنه قال له: ويحك يا جرير! لقد ولينا هذا الأمر وما نملك إلا ثلثمائة درهم، فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية، قال: فأخذها وقال: والله لهي أحب مما اكتسبته إلي، قال: ثم خرج فقال له الشعراء: ما وراءك؟ قال: ما يسوءكم، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني لراض، وأنشأ يقول:

رأيت رقي الشيطان لا تستفزه :: وقد كان شيطاني من الجن
: راقيا

الفرزدق يؤجل ثلاثا-:

قال عمرو بن خالد العماني: قدم الفرزدق المدينة في سنةٍ جدبةٍ حصباء، فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، وهو يومئذ أميرها فقالوا له: أصلح الله الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي قد خلت أموالها، وليس عند أحدٍ منهم ما يعطيه، فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه وتقدم إليه ألا يعرض لأحدٍ بمدحٍ ولا هجاء، قال: فبعث إليه عمر بن عبد العزيز، فقال: يا فرزدق! إنك قدمت مدينتنا في هذه السنة الجدبة، وليس عند واحد منا ما يعطي شاعرا-، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم، فخذها ولا تعرض لأحدٍ بمدح ولا هجاء.

قال: فأخذها الفرزدق ومر بعبد الله بن عمرو بن عثمان وهو جالس في سقيفة داره وعليه مطرفٌ وعمامة خز حمراء وجبة خز حمراء، فقال:

أعبد الله أنت أحق ماشٍ ... وساع بالجماعير الكبار
فللفاروق أمك وابن أروى ... أبوك وأنت منصدع النهار
هما قمر السماء وأنت نجمٌ ... به في الليل يدلج كل سار

قال: فخلع عليه جبته والمطرف والعمامة ودعا له بعشرة آلاف درهم. قال: فخرج رجلٌ كان عند عبد الله بن عمرو بن عثمان، وقد حضر الفرزدق عندما أعطاه عمر بن عبد العزيز وتقدم إليه فأخبر عمر ابن عبد العزيز الخبر، فبعث إليه عمر: ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحدٍ بمدحٍ ولا هجاء، اخرج فقد أجلتك ثلاثا-، فإن وجدتك

بعد ثلاث نكلت بك، قال: فخرج الفرزدق وهو يقول:

أأوعـــدني وأجلنـــي ثلاثـــا ⁝ كمـا وعـدت لمهلكهـا ثمـود؟

يتخلص من الولاية ببيت شعر:

قال العتبي: ولى عمر بن عبد العزيز رجلا- فكره الولاية، فكتب إلى عمر: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين، أما بعد:

فاسـقني شـربة- ألـذ عليهـا ⁝ ثـم عـد مثـل شـربتي لهشـام

فكتب إليه عمر: اعتزل عملي، فاعتزل ثم كتب إليه:

عسلا- سائلا- وماء- قراحا- ⁝ إننـي لا أحـب شـرب المـدام

فكتب إليه عمر: عد إلى عملك، فكتب إليه: لا حاجة لي في عملكم.

عفة جرير، وفجور الفرزدق:

حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي: أن جريرا- قدم على عمر ابن عبد العزيز وهو يتولى المدينة، فأنزله في دارٍ وبعث إليه بجارية تخدمه، فقالت له: إني أراك شعثا- فهل لك في الغسل؟ فجاءته بغسل وماء، فقال: تنحي عني ثم اغتسل.

ثم قدم الفرزدق فأنزله دارا- وبعث إليه بجاريةٍ فعرضت عليه مثل ذلك، فوثب عليها فخرجت إلى عمر، فنفاه عن المدينة وأجله ثلاثا-، ففي ذلك يقول:

توعـــدني وأجلنـــي ثلاثـــا- ⁝ كمـــا لبثـــت لمهلكهـــا ثمـــود

وبلغ ذلك جريرا-، فقال:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز ... بحقك تنفى عن المسجد
وشبهت نفسك أشقى ثمود ... فقالوا: ضللت ولم تهتد
وقد أخروا حين حل العذاب ... ثلاث ليالٍ إلى الموعد

بين بني هاشم وبني أمية:

حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن عائشة عن جويرية قال، قال عمر بن عبد العزيز: ما زلنا نحن وبنو عمنا من بني هاشم مرة- لنا ومرة- علينا، نلجأ إليهم ويلجأون إلينا حتى طلعت شمس الرسالة فأكسدت كل نافق وأخرست كل ناطق.

قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر:

وروي في الخبر أنه قيل لا بن عمر بن عبد العزيز: ما رأيت رجلا- أكرم من أبيك، سمرت معه ذات ليلةٍ فخفت المصباح، فقام إليه فأصلحه، فقلت له: يا أمير المؤمنين هلا أمرت بإصلاحه، فقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

حكاية غريبة عن توسط عمر بن عبد العزيز لدى يزيد بن المهلب:

قال ابن الكوفي وكان بشر بن مروان قد ادخر وهو على العراق عن ابنه عبد الملك وعن عيينة بن أسماء من غلات أراضيهم مالا- عظيما-، فلما ولي الحجاج أخرج تلك البقايا فوجد ما على عبد الملك وعيينة بن أسماء فقال: وما على بشرٍ أن يهب من مال الله تعالى لابنه وختنه هذا وأكثر منه، والله لآخذنهما به أخذ الضب ولده، وطالبهما فريثاه حتى هلك فلحقا بالشام فنزلا على عمر بن عبد العزيز فقالا له: إن بشرا- كان أطعمنا شيئا- كثيرا- من غلاتنا فبسطنا فيه أيدينا، وإن

الحجاج بسفهه وخرقه وظلمه أخرج علينا ثم أخذنا به، فلم نزل نخدعه عن أنفسنا حتى هلك، فكلم أمير المؤمنين في هبة ذلك لنا، فضحك عمر وقال: لست أثق لكما بكلامي، ولكن لكما عندي رأي فيه نجاح طلبتكما، قالا: فادللنا عليه، قال: نمشي إلى يزيد بن المهلب فإما أن يحملها من ماله، وإما أن يعيننا على سليمان فيهبها لكما، ولا والله ما كنت لأمشي إلى عربي على الأرض غيره ليس من ولد مروان. ثم أتوا يزيد فقال له عمر: إن أتيناك زوارا- وهذان من قد عرفت، فلا تنظرن إلى جرم أبو يهما عند أبيك، فضحك يزيد وقال: عفا الله عنك يا أبا حفص، أرجع في ذنبٍ قد غفره أبي قبلي؟! والله ما عجز عن مكافأتهما في حياته ولا أوصاني بالثأر من بعده، فإنهما لأخواي وصاحباي، هاتوا حاجتكم، فقال عمر: إن الحجاج أخرج عليهما مما كان بشر ترك لهما من غلاتهما ألف ألف وخمسمائة ألف فما ترى؟ قال: رأيكم فاحتكموا، قال: تحمل منها ما شئت قال: علي نصفها، والمطلب إلى أمير المؤمنين في بقيتها، فإن حمله عني وإلا حملته، فقال

عبد الملك بن بشر: والله ما ظلم الناس أن زعموا أنك سيدهم. ثم خرجوا وعمر يقول: ما رأينا مثل هذا العراقي في وطأته فعل قبلها مثلها، ثم حمل عن القيسيين وعن يزيد بن عاتكة، وهذه ألف ألف وخمسمائة ألف. ثم ركب يزيد إلى سليمان فدخل عليه وعنده جماعة من وجوه أهل اليمن فقام فقال: يا أمير المؤمنين، فقال له سليمان: أمسك، وأبيك إنك لقادر على خلواتي، اجلس، فقال يزيد: ما قمت لأجلس فأذن لي في الكلام، فقال: هات، فأخبره بمجيء عمر إليه وقال: قد حملت النصف وضمنت عليك الباقين والله يا أمير المؤمنين إن مقامي بالشام لمن تمام نعمة الله علي بأمير المؤمنين، إنه لم يعمد

إلي أحد في حاجة إلا قضاها الله بك يا أمير المؤمنين على يدي، فقال سليمان: قد وهبنا ذلك كله لك، فلك حمده وعلينا غرمه.

عمر بن عبد العزيز يرد المظالم:

عن أبو محمّد الشامي قال: كنت غلاما- في خلافة عمر بن عبد العزيز، فلمّا أخذ عمر في ردّ المظالم غلظ ذلك على أهل بيته وعلى جميع قريش، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام:

فأبلغ هشاما- والّذين تجمّعوا ⁝ بدابق لاسلمتم آخر الدهر

ويروي:

فقل لهشامٍ والّذين تجمّعوا ⁝ بدابق موتوا لا سلمتم يد الدّهر
فأنتم أخذتّم حتفكم بأكفّكم ⁝ كباحثةٍ عن مديةٍ وهي لا تدري
عشيّة بايعتم إماما- مخالفا- ⁝ له شجنٌ بين المدينة والحجر

فأجابه بعض ولد مروان عن هشام بن عبد الملك:

لئن كان ما تدعو إليه هو ⁝ فما أنت فيه ذو غناء ولا وفر
الردى ⁝ من الجزلة الأولى ولا وسط الظهر
وأنت من الريش الذنابى ولم ⁝ أبونا أباك الأمر في سالف الدّهر[1]
تكن ⁝
ونحن كفيناك الأمور كما كفى ⁝

قم فأنت حر لوجه الله تعالى!:

جنى عبد أسود على عمر بن عبد العزيز رحمه الله في عنفوان حداثته جناية ليضربه فقال له: يا مولاي! لم تضربني؟ قال: لأنك

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 1 / 25، 132، 138، 149، 302، 374، 388، 420، 428، 440،.

جنيت كذا وكذا. فقال العبد: هل جنيت أنت جناية قط فغضب عليك مولاك؟ قال: نعم! قال: فهل عجل عليك؟ فقال له: قم فأنت حر لوجه الله تعالى! فكان ذلك سبب توبته.

أخمد بحلمك ما أذكاه ذو سفه :: من غيظك واصفح إن جناني
الحلم أفضل ما ازدان اللبيب به :: والأخذ بالعفو أحلى ما جناني (1)

ما في واحد من هؤلاء خير:

وسأل عمر بن عبد العزيز رحمه الله أبا مجلز عن رجل يوليه خراسان. فقال له: ما تقول في فلان؟ قال: مصنوع له وليس بصاحبها. قال: ففلان؟ قال: سريع الغضب بعيد الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، و يحسد أمه، وينافس أباه، ويحقر مولاه. قال: ففلان؟ قال: يكافئ الأكفاء، ويعادي الأعداء، ويفعل ما يشاء. قال: ما في واحد من هؤلاء خير.

وأنا مولى:

وأراد عمر بن عبد العزيز رحمه الله مكحولا- على القضاء، فأبى عليه. قال له: وما يمنعك؟ قال مكحول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يقض بين الناس إلا ذو شرف في قومه، وأنا مولى.

حصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم:

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته. فكتب إليه: حصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم.

صفة الإمام العادل:

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى

(1) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، 24.

الحسن ابن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل، فكتب إليه الحسن رحمه الله: اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغارا-، ويعلمهم كبارا-؛ يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعته كرها، وربته طفلا- تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا- غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريدا- وحيدا- . فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واذكر يا أمير المؤمنين " إذا بعثر ما في القبور. وحصل ما في الصدور "، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين وأنت مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل. لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك مع أوزارك، وتحمل أثقالك مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. و لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غدا- وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم. إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهي من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحا-، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

واعلم أنك لست أول خليفة:

ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رحمه الله أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب، فقال لهما: أشيرا علي. فقال له سالم: اجعل الناس أبا- وأخا- وابنا-، فبر أباك، واحفظ أخاك، وارحم ابنك. وقال له محمد بن كعب: أحبب للناس ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، واعلم أنك لست أول خليفة.

لا تعجل يا بني:

وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه عمر: يا أبت؛ ما لك لا تنفذ في الأمور؟ فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور. فقال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه وتكون فتنة.

فاذكر قدرة الخالق عليك:

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة، أما بعد، فإن أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للرعية عندك.

فمرهم بذلك:

كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الجراح: إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيشا- أو سرية قال: اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا- فإذا بعثت جيشا- أو سرية فمرهم بذلك.

فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان:

وكتب عدي بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز: إني بأرض كثرت فيها النعم، وقد خفت على من قبلي من المسلمين قلة الشكر والضعف عنه. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: إن الله تعالى لم ينعم على قوم نعمة فحمدوه عليها إلا كان ما أعطوه أكثر مما أخذوا. واعتبر ذلك لقول

الله تعالى: {ٹ ٹ ٹ ٹٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ} [النمل: ١٥]. فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان.

أعظم بركة منها:

قال دكين بن رجاء الفقيمي الراجز: مدحت عمر بن عبد العزيز، وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعابا، فكرهت أن أرمي بها الفجاج فتنشر علي، ولم تطب نفسي ببيعها، فقدمت علينا رفقة من مضر، فسألتهم الصحبة، فقالوا: إن خرجت الليلة؛ فقلت: إني لم أودع الأمير ولا بد من وداعه؛ قالوا: فإن الأمير لا يحجب عن طارق ليل؛ فاستأذنت عليه، فأذن لي وعنده شيخان لا أعرفهما؛ فقال لي: يا دكين، إن لي نفسا تواقة، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا في فبعين ما أرينك؛ قلت: أشهد لي بذلك أيها الأمير؛ قال: إني أشهد الله؛ قلت: ومن خلقه؟ قال: هذين الشيخين؛ قلت لأحدهما: من أنت يرحمك الله أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله؛ فقلت: لقد استسمنت الشاهد؛ وقلت للآخر: من أنت يرحمك الله؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير، وكان مزاحم يكنى أبا يحيى. قال دكين: فخرجت بهن إلى بلدي فرمى الله في أذنابهن بالبركة، حتى اتخذت منهن الضياع والربع والغلمان، فإني لبصحراء فلج إذا بريد يركض إلى الشام، فقلت له: هل من مغربة خبر قال: مات سليمان بن عبد الملك؛ قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز. قال: فأنخت قلوصي، فألقيت عليها أداتي وتوجهت عنده، فلقيت جريرا- في الطريق جائيا- من عنده، فقلت: من أين يا أبا حزرة؟ قال: من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء؛ قلت: فما ترى، فإني خرجت إليه؟ قال: عول عليه في مال ابن السبيل، كما فعلت. فانطلقت فوجدته قاعدا- على كرسي في عرصة داره قد أحاط الناس به، لم أجد إليه سبيلا- للوصول، فناديت

بأعلى صوتي:

يـا عمـر الخيـرات والمكـارم ... وعمـــر الدســـائع العظـــائم
إنـي امـرؤ مـن قطـن بـن دارم ... أطلـب حـاجي مـن أخـي مكـارم
إذ ننتجـــي والله غيـــر نـــائم ... فـي ظلمـة الليـل وليلـي عـاتم

عنـد أبـي يحيـى وعنـد سالـم

فقام أبو يحيى، ففرج لي وقال: يا أمير المؤمنين، إن لهذا البدوي عندي شهادة عليك؛ قال: أعرفها، ادن مني يا دكين، أنا كما ذكرت لك أن لي نفسا- تواقة، وأن نفسي تاقت إلى أشرف منازل الدنيا؛ فلما أدركتها وجدتها تتوق إلى الآخرة، والله ما رزأت من أمور الناس شيئا- فأعطيك منه، وما عندي إلا ألفا درهم، أعطيك أحدهما؛ فأمر لي بألف درهم. فوالله ما رأيت ألفا- كانت أعظم بركة منها.

وفود كثير والأحوص على عمر بن العزيز رضي الله عنه:

قال حماد الراوية: قال لي كثير عزة: ألا أخبرك عما دعاني إلى ترك الشعر؟ قلت: نعم؛ قال: شخصت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكل واحد منا يدل عليه بسابقة وإخاء قديم، ونحن لا نشك أنه سيشر كنا في خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خناصرة، لقينا مسلمة بن عبد الملك، وهو يومئذ فتى العرب؛ فسلمنا، فرد، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا ما توضح إلينا خبر حتى انتهينا إليك، ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا؛ فقال: إن يك ذو دين بنى مروان قد ولي وخشيتم حرمانه، فإن ذا دنياها قد بقي ولكم عندي ما تحبون، وما ألبث حتى أرجع إليكم

وأمنحكم ما أنتم أهله. فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم منزل وأكرم منزول عليه؛ فأقمنا عنده أربعة أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره فلا يؤذن لنا، إلى أن قلت في جمعة من تلك الجمع: لو أني دنوت من عمر فسمعت كلامه فحفظته كان ذلك رأيا، ففعلت. فكان مما حفظت من كلامه: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم؛ في كلام كثير لا أحفظه. ثم قال: أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي، وتظهر عيلتي، وتبدو مسكنتي، في يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق. ثم بكى حتى ظننت أنه قاض نحبه، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء فانصرفت إلى صاحبي فقلت لهما: خذا في شرح من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه، فإن الرجل آخري وليس بدنيوي. إلى أن استأذن لنا مسلمة في يوم جمعة ما أذن للعامة، فلما دخلت سلمت ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب؛ قال؛ يا كثير: {ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾} [التوبة: ٦٠]، أفي واحد من هؤلاء أنت؟ قلت: بلى، ابن سبيل منقطع به، وأنا ضاحك؛ قال: ألست ضيف أبي سعيد؟ قلت: بلى؛ قال: ما أرى ضيف أبي سعيد منقطعا- به؛ قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في الإنشاء؟ قال: نعم، ولا تقل إلا حقا-، فقلت:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف :: بريا ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع : أتيت فأمسى راضيا- كل مسلم
الذي :: من الأود البادي ثقاف المقوم
ألا إنما الفتى بعد زيغة : تراءى لك الدنيا بكف ومعصم
وقد لبست لبس الهلوك ثيابها :: وتبسم عن مثل الجمان المنظم
وتومض أحيانا- بعين مريضة : سقتك مدوفا- من سمام وعلقم

فأعرضت عنها مشمئزا- كأنما :: ومن بحرها في مزبد الموج
وقد كنت من أجبالها في ممنع : مفعم
وما زلت تواقا- إلى كل غاية :: بلغت بها أعلى البناء المقوم
فلما أتاك الملك عفوا- ولم : لطالب دنيا بعده من تكلم
يكن :: وآثرت ما يبقى برأي مصمم
تركت الذي يفنى وإن كان : أمامك في يوم من الهول مظلم
مونقا :: سوى الله من مال رغيب ولا
وأضررت بالفاني وشمرت : دم
للذي :: بلغت به أعلى المعالي بسلم
ومالك إذ كنت الخليفة مانع : مناد ينادي من فصيح وأعجم
سما لك هم في الفؤاد مؤرق :: بأخذ للدينار ولا أخذ درهم
فما بين شرق الأرض والغرب : ولا السفك منه ظالما- ملء
كلها :: محجم
يقول: أمير المؤمنين ظلمتني : لك الشطر من أعمارهم غير
ولا بسط كف لامرئ غير :: ندم
مجرم : وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم
ولو يستطيع المسلمون ::
لقسموا :
فأربح بها من صفقة لمبايع

قال: فأقبل علي وقال: إنك مسؤول عما قلت. ثم تقدم الأحوص فاستأذنه في الإنشاد؛ فقال: قل ولا تقل إلا حقا-؛ فقال:

وما الشعر إلا حكمة من :: بمنطق حق أو بمنطق باطل
مؤلف : ولا ترجعنا كالنساء الأرامل
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضا :: ولا شأمة فعل الظلوم المخاتل
رأيناك تعدل عن الحق يمنة : وتقفو مثال الصالحين الأوائل
ولكن أخذت الحق جهدك كله :: ومن ذا يرد الحق من قول
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا : قائل
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه :: على فوقه إذ عار من نزع
ولولا قد عودتنا خلائف : نابل
لما وخدت شهرا- برحلي :: غطاريف كانوا كالليوث
شملة : البواسل
ولكن رجونا منك مثل الذي به :: تقدمون البيد بين الرواحل
فإن لم يكن للشعر عندك : حبينا زمانا- من ذويك الأوائل

موضـــــــــــــــــع :: وإن كـان مثـل الـدر مـن نظـم
وكان مصيبا- صادقا- لا يعيبه : قائـــــــــــــــــــل
فإن لنـا قربـى ومحـض مـودة :: سـوى أنـه يبنـي بنـاء المنـازل
فـذادوا عـدو السـلم عـن عقـر : وميراث آباء مشوا بالمناصل
دارهـــــــــــــــــم :: وأرســوا عمــود الــدين بعـد
وقبلك مـا أعطى الهنيدة جلـة : التمايـــــــــــــــل
رسول الإله المستضاء بنوره :: على الشعر كعبا- من سديس
: وبـــــــــــــــازل
عليه سلام الضحى والأصائل

فقال: إنك مسؤول عما قلت، قم تقدم نصيب فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له، وأمره بالغزو إلى دابق، فخرج إليها وهو محموم. وأمر لي بثلاثمائة، وللأحوص بمثلها، ولنصيب بمائة وخمسين[1].

أعطي صاحبكم مقولا- ولم يعط معقولا- :

ودخل خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها، وأنت كما قال الشاعر:

وإذا الـدر زان حسـن وجـوه :: كـان للـدر حسـن وجهـك زينـا
:

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أعطي صاحبكم مقولا- ولم يعط معقولا-.

فألقى عمر رأسه على صدره:

حدث العتبي عن سفيان بن عينية قال: قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحوش للكلام، فقال: أكبروا أكبروا؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس بالسن، ولو كان الأمر كله بالسن لكان في المسلمين من أهو أسن منك؛ فقال عمر:

(1) العقد الفريد، 1 /120.

صدقت رحمك الله تكلم؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة، أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا، وقدمت علينا بلادنا، وأما الرهبة فقد أمننا الله بعدلك من جورك؛ قال: فما أنتم؟ قال: وفد الشكر؛ قال: فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل، فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك، فإن ناسا- خدعهم الثناء، وغرهم شكر الناس فهلكوا، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم، فألقى عمر رأسه على صدره.

أقبل من البادية ليست له حاجة إلا شتمنا ثم انصرف؟

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل من بني أمية كان له أخوال في بني مرة: قبح الله شبها- غلب عليك من بني مرة. فبلغ ذلك عقيل بن علفة، فأقبل إليه فقال له قبل أن يبتدئه بالسلام: بلغني يا أمير المؤمنين أنك غضبت على رجل من بني عمك له أخوال في بني مرة، فقلت: قبح الله شبها- غلب عليك من بني مرة، وأنا أقول قبح الله ألأم الطرفين، ثم انصرف. فقال عمر بن عبد العزيز: من رأى أعجب من هذا الشيخ الذي أقبل من البادية ليست له حاجة إلا شتمنا ثم انصرف؟ فقال له رجل من بني مرة: والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم إلا نفسه وقومه، نحن والله ألأم الطرفين.

صدق:

واستعمل عمرُ بن عبدِ العزيز رجلا-، فقيل له: إنه حَدِيث السنّ ولا نراه يَضْبط عملَك؛ فأخذ العهدَ منه وقال: ما أُراك تَضبِط عملَك لحداثتك؛ فقال الفَتى:

ولـيس يَزيـد المـرءَ جهـلا ولا عَمـــــــــــــــــــى :: إذا كـان ذا عَقْـل حداثـةُ سِـنَهِ :

فقال عمرُ: صدق، ورَدَّ عليه عهدَه.

انصرفْ إذا شئت:

وأسمع رجلٌ عمر بن عبد العَزيز بعضَ ما يَكْره، فقال؛ لا عليك، إنّما أردتَ أن يَسْتِفزَّني الشيطانُ بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تنالُه مني غدا-، انصرفْ إذا شئت.

وقال الشاعرُ في هذا المعنى:

لَنْ يدْرِك المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا :: حتى يَذِلُوا وإن عَزُوا لأقوام
ويُشْتَموا فترَى الألوانَ كَاسفَةً :: لا ذلَّ عَجْزٍ ولكنْ ذلّ أحْلام

ولآخر:

إذا قِيلت العوراءُ أغضى كأنّه :: ذَلِيل بلا ذُلّ ولو شاء لانتصرْ

وأحسن بيْت في الحِلْم قولُ كَعْب بنِ زُهير:

إذا أنت لم تَعْرِض عن الجهل والخَنَى :: أصبتَ حَليما- أو أصابك جاهلُ

أنا واحد وأنتم جماعة:

وقال صاحبُ حَرس عمر بن عبد العزيز: خرج علينا عمرُ في يوم عِيد وعليه قميصُ كَتَّان وعِمامة؛ على قلنسوة لاطئة، فقُمْنا إليه وسَلّمنا عليه؛ فقال: مَه، أنا واحدٌ وأنتم جماعة، السلامُ عليّ والردُّ عليكم. ثم سلّم ورَددنا عليه ومشى، فمشينا معه إلى المسجد.

فلا تَعُد إلينا:

ودخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يَعوده في مرضه، فسأله عن علّته، فلمّا أخبره قال: من هذه العلة مات فلان ومات فلان. فقال له عمر: إذا عُدت المَرْضى فلا تَنْعَ إليهم الموْتى، وإذا خرجتَ عَنَّا فلا تَعُد إلينا.

فكأنّ آخر من كُتِبَ عليه الموت قد مات:

وكتب الحسنُ إلى عُمَر بن عبد العزيز: أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكُن، وبالآخرة لم تَزَل. والسلام. وكتب إليه عُمر: أما بعد، فكأنّ آخر من كُتِبَ عليه الموت قد مات، والسلام.

اكتفى باليَسِير:

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حَيْوة: أما بعد، فإنه مَن أكثر من ذِكْر الموت اكتفى باليَسِير: ومن عَلِمَ أن الكلامَ عملٌ قلَّ كلامهُ إلا فيما يَنْفَعه.

ما بَلغ بك ما أَرى؟

ودَخل قوم على عُمر بن عبد العزيز يَعودونه في مَرضه، وفيهم شابٌّ ذابل ناحِل. فقال له عُمر: يا فتى، ما بَلغ بك ما أَرى؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، أمراضُ وأسقام. قال له عمر: لَتَصْدُقَنِّي. قال: بلى يا أمير المؤمنين، ذُقت يوما- حلاوةَ الدنيا فوجدتُها مُرَّة- عواقُبها، فاستوى عندي حَجَرُها وذَهَبُها، وكأَنِّي أنظر إلى عَرْش ربِّنا بارزا-، وإلى الناس يُسَاقون إلى الجنة والنار، فأظمأُتُ نَهاري، وأسْهَرْتُ ليلي، وقليلٌ كلُّ ما أنا فيه في جنْب ثواب الله وخوف عقابه.

لأن يكون ما تُحب أحبَّ إليّ من أن يكون ما أحِب:

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك: كيف تجدك يا بُني؟ قال: أجِدُني في الموت فاحْتَبِسني، فإنّ ثوابَ الله خيرٌ لك منّي؛ قال: والله

يا بُني لأن تكون في ميزاني أحب لي أن أكون في ميزانك؛ قال: وأنا واللهّ لأن يكون ما تُحب أحبَّ إليّ من أن يكون ما أحِب.

وجعلت لنا في الصالحين ذِكْرا-:

لما احتضر عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مَسْلمة بنُ عبد الملك، فأذِن له وأمره أن يُخفِّف الوَقْفة، فلما دخل وقف عند رأسه فقال: جَزاك الله يا أميرَ المؤمنين عنّا خيرا-، فلقد ألنت لنا قُلوبا- كانت علينا قاسية، وجعلت لنا في الصالحين ذِكْرا-.

لو دعوتُك أَجبْتني:

وَقفَ عمرُ بن عبد العزيزِ على قبر ابنه عبد الملك فقال: رَحمك الله يا بُنيّ، فلقد كنت سارّ-ا مولودا- بارّ-ا ناشئاَ، وما أَحْسِب أنّي لو دعوتُك أَجبْتني.

والله سائلك عن مَقامي هذا:

أتي أعرابيّ عُمَرَ بن عبد العزيز فقال: رجلٌ من أهل البادية سَاقَتْه إليك الحاجة، وبَلغت به الغاية، والله سائلك عن مَقامي هذا. فقال عمر: ما سمعتُ أبلغ مِن قائل، ولا أَوْعظ لمُقول له من كلامك هذا.

فإذا كتبت إليك فنفّذ ولا تَردّ عليّ :

كان عمرُ بن عبد العزيز يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامِله علي المدينة في المظالم فيُرادّه فيها. فكتب إليه: إنه يُخيل لي أني لو كتبتُ لك أن تُعطِيَ رجلا- شاة لكتبت إلى: أذكر أم أنثى؟ ولو

كتبتُ إليك بأحدهما لكتبت إلي: أصغيرة أم كبيرة؟ ولو كتبتُ بأحدهما لكتبتَ: ضائنة أم معز؟ فإذا كتبت إليك فنفّذ ولا تَردّ عليّ. والسلام.

إني أخافُ إن عصيت ربي عذابَ يوم عَظيم:

قال العُتبي: لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دَفن سُليمان بن عبد الملك تَبعه الأمويون، فما دَخلوا إلى منزله، قال له الحاجب: الأمويون بالباب. قال وما يريدون؟ قال: ما عَوَّدتْهم الخلفاءُ قبلك. قال ابنُه عبدُ الملك، وهو إذ ذاك ابنُ أربعَ عشرة سنة: ائذن لي في إبلاغهم عنك. قال: وما تُبلغهم؟ قال: أقول: أبي يُقرئكم السلام ويقول لكم: إني أخافُ إن عصيت ربي عذابَ يوم عَظيم.

واقذفوا بهم في النار جميعا-:

قال العتبي: سمعت أبا عبد الرحمن بشرا- يقول: كان في زمن المهدي رجل صوفي، وكان عاقلا- عالما- ورعا-، فتحمق ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يركب قصبة في كل جمعة يومين: الإثنين والخميس، فإذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانه حكم ولا طاعة. فيخرج ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان، فيصعد تلا- وينادي بأعلى صوته: ما فعل النبيون والمرسلون، أليسوا في أعلى عليين؟ فيقولون: نعم. قال: هاتوا أبا بكر الصديق. فأخذ غلام فأجلس بين يديه، فيقول: جزاك الله خيرا- أبا بكر عن الرعية. فقد عدلت وقمت بالقسط وخلفت محمدا- عليه الصلاة والسلام فأحسنت الخلافة، ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع، ونزعت فيه إلى أوثق عروة وأحسن ثقة، اذهبوا به إلى أعلى عليين. ثم ينادي: هاتوا عمر. فأجلس بين يديه غلام. فقال: جزاك الله خيرا- أبا حفص عن الإسلام، قد فتحت الفتوح، ووسعت الفيء، وسلكت سبيل الصالحين، وعدلت في الرعية وقسمت بالسوية، اذهبوا به إلى

أعلى عليين بحذاء أبي بكر. ثم يقول: هاتوا عثمان. فأتي بغلام فأجلس بين يديه. فيقول له: خلطت في تلك الست السنين، ولكن الله تعالى يقول:{ژژڑڑکککگگ} [التوبة: ١٠٢]. وعسى من الله موجبة. ثم يقول: اذهبوا به إلى صاحبيه في أعلى عليين. ثم يقول: هاتوا علي بن أبي طالب. فأجلس غلام بين يديه. فيقول: جزاك الله عن الأمة خيرا- أبا الحسن، فأنت الوصي وولي النبي، بسطت العدل، وزهدت في الدنيا، واعتزلت الفيء، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر وأنت أبو الذرية المباركة، وزوج الزكية الطاهرة، اذهبوا به إلى أعلى عليين من الفردوس، ثم يقول: هاتوا معاوية. فأجلس بين يديه صبي. فقال له: أنت القاتل عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، وحجر بن الأدبر الكندي الذي أخلقت وجهه العبادة، وأنت الذي جعل الخلافة ملكا-، واستأثر بالفيء، وحكم بالهوى، واستنصر بالظلمة، وأنت أول من غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقض أحكامه، وقام بالبغي. اذهبوا به فأوقفوه مع الظلمة، ثم قال: هاتوا يزيد. فأجلس بين يديه غلام. فقال له: يا قواد، أنت الذي قتلت أهل الحرة، وأبحت المدينة ثلاثة أيام، وانتهكت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآويت الملحدين، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمثلت بشعر الجاهلية:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ⁝ جزع الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسينا، وحملت بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على حقائب الإبل، اذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار. ولا يزال يذكر واليا- بعد وال حتى بلغ إلى عمر بن عبد العزيز فقال: هاتوا عمر. فأتى بغلام، فأجلس بين يديه، فقال: جزاك الله يا عمر خيرا- عن الإسلام، فقد أحييت العدل بعد موته، وألنت القلوب القاسية، وقام

بك عمود الدين على ساق، بعد شقاق ونفاق. اذهبوا به فألحقوه بالصديقين. ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء إلى أن بلغ دولة بني العباس، فسكت فقيل له: هذا أبو العباس أمير المؤمنين. قال: بلغ أمرنا إلى بني هاشم، ارفعوا حساب هؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعا-.

أتنام وأصحاب الحوائج راكدون ببابك؟

ودخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه عمر، وهو ينام نومة الضحى، فقال: يا أبت، أتنام وأصحاب الحوائج راكدون ببابك؟ قال: يا بني، إن نفسي مطيتي، فإن أنضيتها قطعتها، ومن قطع المطي لم يبلغ الغاية [1].

فلعل الساعة قريبة:

دخل أبو حازم على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: عظني فقال: اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك في تلك الساعة، فخذ به الآن: وما تكره أن يكون فيك في تلك الساعة فدعه الآن، فلعل الساعة قريبة.

هذا صوت رحمته:

كان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك أيام خلافته، فسمع صوت رعد ففزع منه ووضع صدره على مقدم رحل، فقال له عمر: هذا صوت رحمته، فكيف صوت عذابة [2].

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 5، 8، 9، 11، 24، 36، 79، 133، 135، 151، 170، 179، 233، 238، 303، 304، 317، 340، 346، 374، 429، 5/2، 6/2، 7، 161، 449، 32/3.

(2) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 1 / 194،

ولا تخرجه من حسن رأيك:

وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم، فعزله عن شرطة الكوفة، فشكا ذلك إلى عمر بن عبد العزيز، فكتب إليه: إن من حفظ أنعم الله، رعاية ذوي الإحسان؛ ومن إظهار شكر الموهوب، صفح القادر عن الذنب، ومن تمام السؤدد حفظ الودائع، واستتمام الصنائع. وقد كنت أودعت العريان نعمة من أنعمك، فسلبتها عجلة سخطك، وأنصفته عصبته، على أن وليته ثم عزلته وخليته، وأنا شفيعه؛ فأحب أن تجعل له من قلبك نصيبه، ولا تخرجه من حسن رأيك، فتضيع ما أودعته وتتوى ما أفسدته. فعفا عنه، ورده إلى عمله.

مصيبتي فيك زادتني إلى مصيبتي مصيبة:

قيل: لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، جزع أبوه عليه جزعا- شديدا-، فقال ذات يوم لمن حضره: هل من منشد شعرا- يعزيني به أو واعظ يخفف عني فأتسلى به؟ فقال رجل من أهل الشام: يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليلة بأن يموت أو يذهب إلى مكان، فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال: مصيبتي فيك زادتني إلى مصيبتي مصيبة [1].

فلا أغمس فيها لساني:

وقيل إنه حضر مجلس عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، جماعةٌ من أهل العلم فذكروا عليا-، رضي الله عنه، وعثمان وطلحة والزبير، رضي الله عنهم أجمعين، وما كان بينهم فأكثروا وعمر ساكت، قال القوم: ألا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أقول شيئا-، تلك دماءٌ طهر الله منها كفّي فلا أغمس فيها لساني.

49/2، 162،.

(1) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، 1 / 12، 113،.

أين عمر بن عبد العزيز؟

وعن مزاحم مولى فاطمة قالت: كنت مع عمر بن عبد العزيز وهو نائم فانتبه وقال: يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت أحسن منها. قلت: حدثني بها يا أمير المؤمنين. قال: حتى أصبح. قال: فجاء المنادي فناداه بالصلاة فقام فصلّى بالناس الفجر ثم رجع إلى مجلسه. فأتيته فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني بالرؤيا. فقال: رأيت كأني في أرض خضراء لم أر أرضا- أحسن منها، ورأيت في تلك الأرض قصور زبرجد ورأيت جميع الخلائق حول ذلك القصر، فبينا أنا كذلك إذ نادى مناد من القصر: أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب؟ فقام النبي، صلى الله عليه وسلم، فدخل القصر، فقلت: سبحان الله! إنا في ملإ فيهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولم أسلّم عليه! فلم ألبث إلا قليلا- حتى خرج المنادي فنادى: أين أبو بكر الصديق؟ فقام أبو بكر، رحمه الله، فدخل، فما لبثت إلا قليلا- حتى خرج المنادي فنادى: أين عمر بن الخطاب؟ فقام عمر فدخل، فقلت: سبحان الله! إنا في جمع فيهم أبي ولم أسلّم عليه! فما لبث إلا قليلا- حتى خرج المنادي فنادى: أين عثمان بن عفان؟ فقام عثمان، رحمه الله، فدخل، فما لبثت إلا قليلا- حتى خرج المنادي فنادى: أين علي بن أبي طالب؟ فقام عليّ فدخل، فما لبثت إلا قليلا- حتى خرج المنادي فنادى: أين عمر بن عبد العزيز؟ فقمت فدخلت فرأيت النبي، صلى الله عليه وسلم، قاعدا- ورأيت أبا بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان وعليا- بين يديه، فقلت: أين أقعد؟ لا أقعد إلا إلى جنب أبي، قال: فقعدت عند عمر بن الخطاب، فرأيت فيما بين النبي، صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر شابا- حسن الوجه، فقلت: يا أبة من هذا؟ قال: هذا عيسى ابن مريم، عليه السلام. قال: فما لبثت إلا قليلا- حتى سمعت مناديا- ينادي: يا عمر بن

عبد العزيز اثبت على ما أنت عليه. قال: ثم قمت فخرجت فلم ألبث إلا قليلا- حتى خرج عليّ عثمان وهو يقول: الحمد لله الذي نصرني. ثم لم ألبث إلا قليلا- حتى خرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: الحمد لله الذي غفر لي!

وهل القضاء إلا هذا؟

قيل: وقدم رجل من حلوان مصر على عمر بن عبد العزيز، رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن والدك وليَ بلادنا فكتب إلى عبد الملك يخبره أن حلوان صافية وهي أرض خراج فأقطعها إياه فورثتها أنت وإخوتك فاتق الله ولا تظلمنا كما ظلمنا أبوك فإنه كان شيخا- ضعيف الخرج وأنت رجل مخرج.

فقال عمر: إن كان أبي كما ذكرت فهو أبي لا أبوك، نازعني منازعة جميلة ولا تشتم عرضي فإن لي فيها شركاء إخوة وأخوات لا يرضون أن أقضي فيها بغير قضاء قاضٍ، أقوم معك إلى القاضي فإن قضى لي اصطبرت وإن قضى لك سلّمت. قال: إن قمت معي إلى القاضي فقد أنصفتني. فقاما جميعا- إلى القاضي فقعدا بين يديه، فتكلم عمر بحجته وتكلم الرجل، فقضى القاضي للرجل. فقال عمر: إن عبد العزيز قد أنفق عليها ألف ألف درهم. فقال القاضي: قد أكلتم من غلتها بقدر ذلك. فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا؟ لو قضيت لي وما وليت لي عملا- أبدا-. فخرج إلى الرجل من حقه.

محاسن بر الآباء:

حكي عن ميمون بن مهران أنه قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فوجدته يكتب إلى ابنه عبد الملك: أما بعد فإن أحق من وعى

عني وفهم قولي أنت، وإن الله، وله الحمد، قد أحسن إلينا في لطيف أمرنا وجليله، وعلى الله جل وعز تمام النعمة، فاذكر يا بني فضل الله عليك وعلى أبيك فإنك إن استطعت أن تصدق ذلك كله بعمل تعمله وصلاة أو صوم أو صدقة قبل ذلك منك، وإياك والعزة والعظمة والكبرياء فإنه من عمل الشيطان وهو عدوّ مضلّ مبين، وإن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، إن ربي لغفور رحيم. واعلم أن الشباب إلا ما وقى الله ودفع عونٌ على أمور كثيرة من السوء، وفيه لعمري معونة كثيرة على الخير لمن رزقه الله، فاحذر شبابك وإياك أن تعلم في قلبك زهوا- أو كبرا- فإنه ما لم يكن من ذلك كان خيرا-، واحفظ لسانك ونفسك حفظا- ترجو فيه رحمة الله جل وعز ومغفرته، واذكر صغر أمرك وحقارة شأنك ولا تبغ في ما أعجبك من نفسك وفيما عسيت أن تفرط فيه مما ليس معه غير الفكرة في أمرك وأمره، وليس كتابي هذا لأن يكون بلغني عنك إلا خيرا-، غير أنه قد بلغني عنك شيء من بعض إعجابك بنفسك، ولو بلغني أن ذلك خرج عنك إلى أمر كرهته لبلغك عني أمر يشتد عليك كراهته وعرّفت مع ذلك أن الشباب والحرص والنعمة يحمل ذلك كله على أمر شديد إلا ما وقى الله ودفع، فكن يا بنيّ على حذر، فإن الشيطان قلّ ما يصيب فرصته بمن احترس منه بدعاء الله جل اسمه والتواضع له، وأكثر تحريك لسانك في ليلك ونهارك بذكر الله فإن أحسن ما وصلت به حديثا- حسنا- ذكر الله جل اسمه، وأحسن ما قطعت به حديثا- سيئا- ذكر الله تبارك وتعالى، وأعن على نفسك بخير. نسأل الله لنا ولك حسن التوفيق والسلام.

قال ميمون: ثم قال لي عمر: إن ابني عبد الملك قد زين في عيني وأنا متهم لنفسي فيه وأخاف أن يكون هواي فيه قد غلب على علمي

به وأدركني ما يدرك الوالد من الإشفاق على ولده فأته واسبره ثم ائتني بعلمه ثم انظر هل ترى منه ما يشاكل النخوة فإنه غلام حدث ولا آمن عليه الشيطان.

قال ميمون: فخرجت إلى عبد الملك حتى قدمت عليه فاستأذنت ودخلت، فإذا غلام ابن ست عشرة سنة جالس على حشية بيضاء أحسن الناس تواضعا- وإذا مرافق بيض وبساط شعر. فرحب بي ثم قال: قد سمعت أبي يذكر منك ما أنت أهله وإني أرجو أن ينفع الله بك وقد حسبت أن يكون قد غرّني من نفسي حسن رأي والدي فيّ وما بلغت من الفضل كل ما يذكر، وقد حذرت أن يكون الهوى قد غلبه على علمه فأكون أحد آفاته. قال ميمون: فعجبت من اتفاقهما فقلت له: أعلمني من أين معيشتك؟ قال: من عطاي ومن غلة زراعةٍ اشتريت عن ظهر يدٍ ممن ورثها عن أبيه فوهبها لي فأغناني بها عن فيء المسلمين. قال: فقلت: فما طعامك؟ فقال: ليلة لحم وليلة عدس وزيت وليلة خل وزيت وفي هذا بلاغ. قال فقلت له: أفما تعجبك نفسك؟ فقال: قد كان فيّ بعض ما كان فلما وعظني أبي في كتابه بصّرني نفسي وما صغّر من شأني وحقّر من قدري فنفعني الله جل وعز بذلك فجزاه الله من والدٍ خيرا-. فقعدت ساعة أحدثه وأتسمع من منطقه فلم أر فتى- كان أجمل وجها- ولا أكمل عقلا- ولا أحسن أدبا- على صغر سنه وقلة تجربته منه.

قال ميمون: فلما كان آخر ذلك أتاه غلام فقال: أصلحك الله قد فرغنا. قال: فسكت. فقلت: ما هذا الذي فرغ منه؟ قال: الحمّام أخلاه لي. قال فقلت: لقد كنت وقعت مني كل موقع حتى سمعت هذا. قال: فاسترجع وذعر وقال: وما ذاك يا عم، يرحمك الله؟ قلت: الحمّام لك؟ قال: لا. قلت: فما دعاك إلى أن تطرد عنه غاشيته كأنك تريد بذلك

الكبر فتكسر على صاحب الحمام غلته ويرجع من أتاه خائبا-؟ قال: أما صاحب الحمام فإني أُرضيه وأعطيه غلة يومه. قال قلت: هذه نفقة سرف خالطها الكبر، وما يمنعك أن تدخل الحمام مع الناس وإنما أنت كأحدهم؟ قال: يمنعني من ذاك أن أرى عورة مسلم ورعاع من الناس يدخلون بغير أزر فأكره رؤية عوراتهم وأكره أن أجبرهم على أزر فيضعون ذلك مني على حد هذا السلطان الذي خلّصنا الله منه كفافا-، فعظني رحمك الله عظة أنتفع بها واجعل لي مخرجا- من هذا الأمر. فقلت له: ادخله ليلا- فإذا رجع الناس إلى رحالهم خلا لك الحمام. قال: لا جرم لا أدخله نهارا- أبدا- ولولا شدة برد بلادنا هذه ما دخلته أبدا-، فأقسمت عليك لتطوينّ هذا الخبر عن أبي فإني أكره أن يظل عليّ ساخطا- ولعل الأجل يحول دون الرضى منه.

قال: فأردت أن أسبر عقله فقلت: إن سألني هل رأيت منه شيئا- تأمرني أن أكذبه؟ قال: لا معاذ الله ولكن قل رأيت شيئا- ففطمته عنه وسارع إلى ما أردت من الرجوع، فإنه لا يسألك عن التفسير لأن الله جل وعز قد أعاذه من بحث ما ستر. قال ميمون: فلم أر والدا- قط ولا ولدا- قط، رحمة الله وبركاته عليهم، مثلهما [1].

لم يمزح بعد الخلافة إلاّ مرّتين:

وقيل إن عمر بن عبد العزيز لم يمزح بعد الخلافة إلاّ مرّتين: إحداهما أَن عَدي بن أرطاة كتب إليه يستأذنه في أن يتزوَّج ابنة أسماء ابن خارجة فكتب إليه عمر: أَمَّا بعد فقد أتاني كتابك تستأذن في هند: فإن تكُ قوّة فأهلُك الأولون أَحقّ بك وبها، وإن يكُ بك ضَعف، فأهلُك الأَولون أعذر لك ولكن الفَزَاريّ والسلام [2].

(1) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص21، 145، 210، 231.
(2) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق بسام عبد

قل لي في وجهي ما أكره:

- وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره

فأطعني كما كنت أطيعك:

وقال عمر بن عبد العزيز لمؤدبه كيف كانت طاعتى لك قال أحسن طاعة قال فأطعني كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك.

إلزم بيتك:

وقال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من بالباب فقال رجل أناخ ناقته الآن يزعم أنه بلال مؤذن رسول الله فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني أبي أنه سمع رسول الله يقول من ولي شيئا من أمور المسلمين ثم حجب عنه حجبه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه إلزم بيتك فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب.

فجاءت ملء قدح:

وقيل لما ولي عمر بن عبد العزيز أخذ في رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا إلى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها إن رسول الله سلك طريقا فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله فلما قضي الأمر إلى معاوية جره يمينا وشمالا وأيم الله لئن مد في عمري لاردنه إلى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله

الوهاب الجابي، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة: الأولى 1418 هـ 1977م، ص 37، 84.

وأصحابه فقالت له يا ابن أخي إني أخاف عليك منهم يوما عصيبا فقال كل يوم أخافة دون يوم القيامة فلا أمننيه الله وقال وهب بن منبه إذا هم الوالي بالجور أو عمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته في الأسواق والزروع والضروع وكل شيء وإذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك قال الوليد بن هشام إن الرعية لتصلح بصلاح الوالي وتفسد بفسادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متنكرا فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها نقص أرعت في غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن أظن أن ملكنا رآها أو وصله خبرها فهم بأخذها فنقص لبنها فإن الملك إذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه أن لا يأخذها ولا يحسد احدا من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادتها ومن المشهور بأرض المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلو أن كل قصبة منها تعصر قدحا فعزم الملك على أخذها منها ثم أتاها وسألها عن ذلك فقالت نعم ثم إنها عصرت قصبة فلم يخرج منها نصف قدح فقال لها أين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك إلا أن يكون السلطان قد عزم على أخذها مني فارتفعت البركة منها فتاب الملك وأخلص لله النية وعاهد الله أن لا يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت ملء قدح.

فأجدر أن لا يكون في غيرهم:

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه إلى عماله أن لا تولوا على أعمالنا إلا أهل القرآن فكتبوا إليه إنا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب

إليهم إن لم يكن في أهل القرآن خير فأجدر أن لا يكون في غيرهم.

فإني لأستحي من الله أن يراك ببابي:

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال إذا كانت لك حاجة إلي فأرسل إلي رسولا أو أكتب لي كتابا فإني لأستحي من الله أن يراك ببابي.

فعاقبه على قدر ذنبه:

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل من عماله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا.

رحم الله امرأ عرف قدر نفسه:

وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه أن ابنه اشترى فص خاتم بألف دينار فكتب إليه عزمت عليك إلا ما بعت خاتمك بألف دينار وجعلتها في بطن جائع واستعمل خاتما من ورق وانقش عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

فعل هذا بالتقي الطاهر:

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال تضرعت إلى ربي سنة أن يرين أبي في النوم حتى رأيته وهو يمسح العرق عن جبينه فسألته فقال لولا رحمة الله لهلك أبوك إنه سألني عن عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر ابن عبد العزيز فصاح وضرب بيده على رأسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف بالمقترف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صحبه وسلم.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجاء بن حيوه يا رجاء إذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فإن رأيت خيرا فاحمد الله وإن غير ذلك فاعلم أن عمر قد هلك قال رجاء فلما دفناه كشفت عن وجهه فرأيت نورا ساطعا فحمدت الله تعالى أن قد صار إلى خير وقال أيضا دخلت على عمر ابن عبد العزيز وهو محتضر فقال يا رجاء إني أرى وجوها كراما ليست بوجوه إنس ولا جان وهو يقلب طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يده فقال اللهم أنت ربي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فإن غفرت فقد مننت وإن عاقبت فما ظلمت ألا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة فعليه السلام والرحمة ثم قضى نحبه رحمه الله [1].

فأيقظي أو دعي:

عن عطا قال قلت لفاطمة بنت عبد الملك أخبريني عن عمر بن عبد العزيز قالت أفعل ولو كان حيا- ما فعلت إن عمر رحمه الله كان قد فرغ للمسلمين نفسه ولأمورهم ذهنه فكان إذا أمسى مساء لم يفرغ فيه من حوائج يومه دعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله ثم صلى ركعتين ثم أقعى واضعا- رأسه على يديه تسيل دموعه على خديه يشهق الشهقة يكاد ينصدع لها قلبه أو تخرج لها نفسه حتى يرى الصبح وقد أصبح صائما- فدنوت منه فقلت له يا أمير المؤمنين ألشيءٍ كان منك ما كان قال أجل فعليك بشأنك وخلني بشأني فقلت إني

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 174/1، 201، 204، 209، 231، 249، 255، 415، 444، 62/2، 197، 577.

أرجو أن أيقظ قال إذن أخبرك أنى نظرت فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ثم ذكرت الفقير الجائع والغريب الضائع والأسير المقهور وذا المال القليل والعيال الكثير وأشياء من ذلك في أقاصي البلاد وأطراف الأرض فعلمت أن الله عز وجل سائلي عنهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيجي لا يقبل الله مني فيهم معذرة ولا تقوم لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة فرحمت والله يا فاطمة نفسي رحمة دمعت لها عيني ووجع لها قلبي فأنا كلما ازددت ذكرا- ازددت خوفا- فأيقظي أو دعي [1].

لم عزلتني؟!:

قال بعض قضاة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وقد عزله: لم عزلتني؟!: قال: بلغني أنّ كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين.

وما كلُّ الناس يشبه أباه:

قال مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبد العزيز فتيان، فقالا: إن أبانا توفي فترك مالا عند عمنا حميد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد أنت القائل:

حميد الّذي أمجٌ داره : أخو الخمر ذو الشَّيبة الأصلع
أتاني المشيب على شربها :: وكان كريما- فما ينزع

فقال: نعم. قال: أما إذ أقررت، فأني سأجلدك؟ قال: ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك تنزع عنها. فقال: هيهات، أين تذهب بك؟ ألم تسمع قول الله يقول: " والشُّعراء يتَّبعهم الغاوون،

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص34.

ألم تر أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون وأنَّهم يقولون مالا يفعلون "؟ قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أفلت. ثم قال: ويحك ياحميد، كان أبوك صالحا-، وأنت رجل سوء. قال: أصلحك الله، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كلُّ الناس يشبه أباه، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي، وترك عندك مالا-. قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إن هؤلاء توفي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهذا مالهم. فقال عمر: ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك. قال: ما كان ليعود إليّ وقد خرج من عندي.

صف لي العدل:

قال محمد بن كعب القرظي: قال لي عمر بن عبد العزيز: صف لي العدل يا ابن كعب. قلت: بخٍ بخٍ، سألت عن أمر عظيم. كن لصغير الناس أبا-، ولكبيرهم ابنا-، وللمثل منهم أخا-، وللنساء كذلك، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم، ولا تضربن لغضبك سوطا- واحدا- فتكون من العادين.

تكتفوا من القراطيس بالقليل:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: إذا كتبتم فأرقّوا الأقلام، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعاني، وقاربوا بين الحروف، تكتفوا من القراطيس بالقليل.

امتلأت الأرض ظلما- وجورا:

خرج عمر بن عبد العزيز يوما-، فقال: ما شاء الله! كان الوليد بن عتبة بالشام، والحجاج بالعراق وقرَّة بن شريك بمصر، وعثمان بن حيَّان بالحجاز، ومحمّد بن يوسف باليمن، امتلأت الأرض ظلما- وجورا.

لو كنته لم تقله:

قال: قال عمر بن عبد العزيز لرجل: من سيّد قومك؟قال: أنا. قال: لو كنته لم تقله [1].

الهدية في عمل السلطان رشوة:

هدي إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه هدية، فردها، فقيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يقبل الهدية. فقال: قد كانت الهدية له هدية، وهي لنا رشوة، وقد لعن الله الراشي والمرتشي. وقال بعض السلف: الهدية في عمل السلطان رشوة [2].

ما أمَلُ أهْلِك فيك؟

عن أبي اسحاق قال: حدثني ابنُ الكلبية قال: ولأَني عُمر بن عبد العزيز عَمَلا- فلمّا ودّعتُه قال: يا ابن الكلبية، ما أمَلُ أهْلِك فيك؟ قلتُ: السَّلامةُ والعافِيةُ. قال: لا، ولكن أملُهم فيك ان تَرِدَ لهم عَلى ظَهْرِك، وأن تَحْمِل لهم عَلى كاهِلك، يا ابن الكُلبية إني لأَعْلَمُ أنَّ لك ولدا- تُحِبُّ لهم الغِنى، وتكره لهم الفقر، وأن الله عزَّ وجلّ قد كتب عليهم فقرا-، أو كتب لهم غِنى، وأنَّ اهلَ السّموات والأَرض لَو جَهدوا أن يُغْنُوا من كَتب الله عليه الفقر أو يُفْقِروا من كتب الله له الغِنى، لم يقَدروا على ذلك. انظر لِنفسك، ولا تَنظر لغِيْرك، وقد أحْببتك، فلا أبغضك وأستوْدعك الله.

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 /7، 12، 18، 20، 21، 43، 61، 66، 74، 77، 80، 93، 117، 119، 132، 134، 171، 200، 236.

(2) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق: نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت / لبنان - ص 71.

لله أبوك:

عن العتبي، قالَ: وقال: رجل من جلساء عمر بن عبد العزيز لرجل سمعه يتكلم بكلام أعجبه: لله أبوك، أني أوتيت هذا العلم؟ فقال الرجل: إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تركنا العمل بما علمنا، ولو انا عملنا بما علمنا لأوتينا علمّا لا تقوم له أبداننا.

كأني لك جنة من عذاب الله:

عن الهيثم بن عدي، قالَ: كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فأن قبلي ناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله مالا عظيما لست أقدر على استخراجه من أيديهم، إلا أن يمسهم شيء من العذاب، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فعل، فكتب إليه عمر: أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب بشر، كأني لك جنة من عذاب الله، وكأن رضائي ينجيك من سخط الله. فانظر فمن قامت عليه البينة فخذه بما قامت به عليه، ومن أقر لك بشيء فخذه بما اقر به، ومن أنكر فاستحلفه بالله وخل سبيله. فو الله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب إلي من أن ألقى الله بدمائهم [1].

لولا أني غضبان لضربتك:

عن عمر بن عبد العزيز أنه أتي برجل كان واجدا- عليه فأمر بضربه ثم قال: لولا أني غضبان لضربتك وخلّى سبيله [2].

(1) إبن دريد، تعليق من أمالي ابن دريد، 1 / 2، 20، 21.
(2) أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس و د. عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1983، 1 / 229، 274.

فعلام التهافت في النار!:

حبس عمر بن عبد العزيز الغذاء عن مسلمة، حتى برح به الجوع، ثم دعا بسويق فسقاه، فلما فرغ منه لم يقدر على الاكل، فقال: يا مسلمة، إذا كفاك من الدنيا ما رأيت، فعلام التهافت في النار!

ألا تجيبوني؟

وروى إسماعيل بن أبى حكيم، قال: قال عمر بن عبد العزيز يوما لحاجبه: لا تدخلن على اليوم إلا مروانيا.

فلما اجتمعوا قال: يا بنى مروان، إنكم قد أعطيتم حظا وشرفا وأموالا، إنى لاحسب شطر أموال هذه الأمة أو ثلثيها في أيديكم، فسكتوا، فقال: ألا تجيبوني؟ فقال رجل منهم: فما بالك؟ قال: إنى أريد أن أنتزعها منكم، فأردها إلى بيت مال المسلمين.

فقال رجل منهم: والله لا يكون ذلك حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا، والله لا نكفر أسلافنا، ولا نفقر أولادنا، فقال عمر: والله لو لا أن تستعينوا على بمن أطلب هذا الحق له لاضرعت خدودكم! قوموا عنى.

وأى عيب أعيب مما عا به القرآن!:

وروى مالك بن أنس قال: ذكر عمر بن عبد العزيز من كان قبله من المروانية فعابهم، وعنده هشام بن عبد الملك، فقال يا أمير المؤمنين، إنا والله نكره أن تعيب آباءنا، وتضع شرفنا، فقال عمر: وأى عيب أعيب مما عا به القرآن! وروى نوفل بن الفرات، قال: شكا بنو مروان إلى عاتكة بنت مروان بن الحكم عمر، فقالوا: إنه يعيب أسلافنا، ويأخذ أموالنا.

فذكرت ذلك له - وكانت عظيمة عند بنى مروان - فقال لها:

يا عمة، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وترك الناس على نهر مورود، فولى ذلك النهر بعده رجلان لم يستخصا أنفسهما وأهلهما منه بشيء ثم وليه ثالث فكرى منه ساقية، ثم لم تزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه، وايم الله لئن أبقاني الله لاسكرن تلك السواقى حتى أعيد النهر إلى مجراه الاول، قالت فلا يسبون إذا عندك! قال: ومن يسبهم! إنما يرفع الرجل مظلمته فأردها عليه.

وأين كتاب الله!:

دخل عمر بن عبد العزيز على سليمان بن عبد الملك وعنده أيوب ابنه - وهو يومئذ ولى عهده - قد عقد له من بعده، فجاء إنسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء، فقال سليمان: ما إخال النساء يرثن في العقار شيئا، فقال عمر بن عبد العزيز: سبحان الله! وأين كتاب الله! فقال سليمان: يا غلام، اذهب فأتني بسجل عبد الملك الذى كتب في ذلك، فقال له عمر: لكأنك أرسلت إلى المصحف! فقال أيوب بن سليمان: والله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين.

فلا يشعر حتى يفارقه رأسه فقال عمر: إذا أفضى الأمر إليك وإلى أمثالك كان ما يدخل على الإسلام أشد مما يخشى عليكم من هذا القول، ثم قام فخرج.

وأمر بضرب عنق الحروري:

وروى إبراهيم بن هشام بن يحيى، قال حدثنى أبى، عن جدى، قال كان عمر بن عبد العزيز ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية، ويقول: ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة، فأتى سليمان بحرورى مستقتل، وعنده عمر بن عبد العزيز، فقال سليمان

للحروري: ماذا تقول؟ قال: ما أقول يا فاسق يابن الفاسق! فقال سليمان لعمر: ما ترى يا أبا حفص؟ فسكت، فقال: أقسمت عليك لتخبرنى ماذا ترى عليه! فقال: أرى أن تشتمه كما شتمك، وتشتم أباه كما شتم أباك، فقال سليمان: ليس إلا! قال: ليس إلا، فلم يرجع سليمان إلى قوله، وأمر بضرب عنق الحروري.

أحمق الناس؟

قال عمر بن عبد العزيز يوما لجلسائه: أخبروني من أحمق الناس؟ قالوا: رجل باع آخرته بدنياه، فقال ألا أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى، قال: رجل باع آخرته بدنيا غيره.

إذا ما المشكلات وردن يوما:

عن ابن الكلبى، قال: بينما عمر بن عبد العزيز جالسا في مجلسه، دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلام عليك ورحمه الله وبركاته، أما بعد، فإنه ورد علينا امر ضاقت به الصدور، وعجزت عنه الأوساع [1]، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عز وجل:{ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں} [النساء: ٨٣]، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والاخر أبوها، وإن أباها يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها إن على بن أبى طالب عليه السلام خير هذه الامة وأولاها برسول الله صلى الله عليه

(1) الاوساع: جمع وسع، وهو الطاقة.

وآله، وإنه يزعم أن ابنته طلقت منه، وإنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهرا، وهو يعلم إنها حرام عليه كأمه.

وإن الزوج يقول له: كذبت وأثمت، لقد بر قسمي، وصدقت مقالتي، وإنها امرأتي على رغم أنفك، وغيظ قلبك، فاجتمعوا إلى يختصمون في ذلك، فسألت الرجل عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفت بطلاقها إن عليا خير هذه الأمة وأولاها برسول الله صلى الله عليه وآله، عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره، فليغضب من غضب، وليرض من رضى، وتسامع الناس بذلك، فاجتمعوا له، وإن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى، وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم، وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة، فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله، وإنهما تعلقا بها، وأقسم أبوها ألا يدعها معه، وأقسم زوجها ألا يفارقها ولو ضربت عنقها إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه، فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين، أحسن الله توفيقك وأرشدك! وكتب في أسفل الكتاب:

::
:
إذا مـــا المشـــكلات وردن :: يوما فحارت في تأملها العيون
وضاق القوم ذرعا عن نبأها : فأنت لها أبا حفص أمين
لانك قد حويت العلم طرا :: وأحكمك التجارب والشئون
وخلفك الإله على الرعايا : فحظك فيهم الحظ الثمين.
::
:

قال: فجمع عمر بن عبد العزيز بنى هاشم وبنى أمية وأفخاذ قريش، ثم قال لأبي المرأة: ما تقول أيها الشيخ؟ قال: يا أمير المؤمنين، هذا الرجل زوجته ابنتى، وجهزتها إليه بأحسن ما يجهز به

مثلها، حتى إذا أملت خيره، ورجوت صلاحه، حلف بطلاقها كاذبا، ثم أراد الاقامة معها، فقال له عمر: يا شيخ، لعله لم يطلق امرأته، فكيف حلف؟ قال الشيخ: سبحان الله، الذى حلف عليه لأبين حنثا وأوضح كذبا من أن يختلج في صدري منه شك، مع سنى وعلمي، لأنه زعم أن عليا خير هذه الامة وإلا فامرأته طالق ثلاثا، فقال للزوج: ما تقول؟ أهكذا حلفت؟ قال: نعم، فقيل: إنه لما قال نعم، كاد المجلس يرتج بأهله، وبنو أمية ينظرون إليه شزرا، إلا إنهم لم ينطقوا بشيء، كل ينظر إلى وجه عمر.

فأكب عمر مليا ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون ما يقوله، ثم رفع رأسه وقال:

إذا ولى الحكومة بين قوم : أصاب الحق والتمس السدادا
وما خير الإمام إذا تعدى :: خلاف الحق واجتنب الرشادا

ثم قال للقوم: ما تقولون في يمين هذا الرجل؟ فسكتوا، فقال: سبحان الله! قولوا.

فقال رجل من بنى أمية: هذا حكم في فرج، ولسنا نجترئ على القول فيه، وأنت عالم بالقول، مؤتمن لهم وعليهم، قل ما عندك، فإن القول ما لم يكن يحق باطلا ويبطل حقا جائز على في مجلسي.

قال: لا أقول شيئا، فالتفت إلى رجل من بنى هاشم من ولد عقيل ابن أبى طالب، فقال له: ما تقول فيما حلف به هذا الرجل يا عقيلي؟ فاغتنمها، فقال: يا أمير المؤمنين، إن جعلت قولى حكما، أو حكمي جائزا قلت، وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لى، وأبقى للمودة، قال: قل وقولك حكم، وحكمك ماض.

فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا: ما أنصفتنا يا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا، ونحن من لحمتك وأولى رحمك، فقال عمر: اسكتوا، اعجزا ولؤما! عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له.

قالوا: لأنك لم تعطنا ما أعطيت العقيلى، ولا حكمتنا كما حكمته، فقال عمر: إن كان أصاب وأخطأتم، وحزم وعجزتم، وأبصر وعميتم، فما ذنب عمر، لا أبا لكم! أتدرون ما مثلكم؟ قالوا: لا ندرى، قال: لكن العقيلى يدرى، ثم قال: ما تقول يا رجل، قال: نعم يا أمير المؤمنين، كما قال الأول: دعيتم إلى أمر فلما عجزتم تناوله من لا يداخله عجز فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم ندامى وهل يغنى من القدر الحذر! فقال عمر: أحسنت وأصبت، فقل ما سألتك عنه.

قال: يا أمير المؤمنين، بر قسمه، ولم تطلق امرأته، قال: وإنى علمت ذاك؟ قال: نشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائد لها: يا بنية، ما علتك قالت: الوعك يا أبتاه - وكان على غائبا في بعض حوائج النبي صلى الله عليه وآله - فقال لها: أتشتهين شيئا؟ قالت: نعم أشتهى عنبا، وأنا أعلم إنه عزيز، وليس وقت عنب، فقال صلى الله عليه وآله: إن الله قادر على أن يجيئنا به، ثم قال: اللهم ائتنا به مع أفضل أمتى عندك منزلة، فطرق على الباب، ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما هذا يا على؟ قال: عنب التمسته لفاطمة، فقال: الله أكبر الله أكبر، اللهم كما سررتني بأن خصصت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيتي، ثم قال: كلى على اسم الله يا بنية، فأكلت، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استقلت وبرأت، فقال عمر: صدقت وبررت، أشهد لقد سمعته ووعيته، يا رجل، خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم

أنفه.

ثم قال: يا بنى عبد مناف، والله ما نجهل ما يعلم غيرنا، ولا بنا عمى في ديننا، ولكنا كما قال الأول: تصيدت الدنيا رجالا بفخها فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا وأعماهم حب الغنى وأصمهم فلم يدركوا إلا الخسارة والوزرا قيل: فكأنما ألقم بنى أمية حجرا، ومضى الرجل بامرأته.

وكتب عمر إلى ميمون بن مهران: عليك سلام فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فإنى قد فهمت كتابك، وورد الرجلان والمرأة، وقد صدق الله يمين الزوج، وأبر قسمه، وأثبته على نكاحه، فاستيقن ذلك، واعمل عليه، والسلام عليك ورحمه الله وبركاته [1].

الحَسَنَة بَيْنَ السَّيِّئَتْيِن :

ودخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله على عبد الملك بن مروان وكان خَتَنَهُ على ابنته فاطمة فسأله عن معيشته كيف هي فقال عمر: حَسَنَة بين السيئتين ومنزلة بين المنزلتين فقال عبد الملك: خَيْرُ الأمور أوْسَاطُها [2].

أنا أؤخر نفسي:

(1) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: 656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، 156/3، 104/17، 144/18، 329/18، 335، 295/19.

(2) أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، 1 / 314.

عرضت جارية على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فأحب شراءها ولم يكن عنده تمام ثمنها فقال البائع: أنا أؤخرك إلى العطاء. فقال: لا أريد لذة عاجلة بذلة آجلة. وعرض على رجل شيء ليشتريه فقال: ما عندي ثمنه، فقال البائع: أنا أؤخرك. فقال: أنا أؤخر نفسي[1].

ألق حصاك وأخلص الدعاء:

- ومر عمر بن عبد العزيز برجل يسبح الحصى، فإذا بلغ المائة عزل حصاة فقال له: ألق حصاك وأخلص الدعاء [2].

وأوجز الإملاء:

- كتب إليه أبو بكر بن حزم - وهو والي المدينة من جهته؛ إن الأمير يقطع لي من الشمع والقراطيس ما كان يقطع لعمال المدينة، فكتب إليه: جاءني كتابك وإن عهدي بك تخرج من بيتك في الليلة الظلماء بغير سراج. وأما القراطيس فأدق القلم، وأوجز الإملاء، واجمع الحوائج في صحيفة.

شر الخلق؟

وذكر له سليمان بن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم بالعفة عن الدرهم والدينار، وهم بأن يستكفيه مهما- من أمره. فقال له عمر: أفلا أدلك على من هو أزهد في الدرهم والدينار منه وهو شر الخلق؟ قال: بلى. قال: إبليس لعنه الله.

قميصي هذا كان يرقع:

- خرج يوم الجمعة إلى الصلاة وقد أبطأ، فقال: أيها الناس؛ إنما

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 9، 30، 129، 139، 215، 249، 486، 489، 31/2.

(2) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 9، 30، 129، 139، 215، 249، 486، 489، 31/2.

بطأني عنكم أن قميصي هذا كان يرقع - أو كان يغسل - ولا والله ما أملك غيره.

أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- وقال عمر يوما- وقد قام من عنده علي بن الحسين رضي الله عنهما: من أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: أنتم. فقال: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفا-، من أحب الناس أن يكونوا منه، ولم يحب أن يكون من أحد. وقال: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لزدنا عليهم.

فليكن الله أجلّ في صدرك:

وقال لجارية في صباه بحضرة مؤدبه: أعضّك الله بكذا؟. فقال له المؤدب: قل أعضّك عبد العزيز. فقال: إن الأمير أجلّ من ذلك. قال: فليكن الله أجلّ في صدرك. فما عاود بعدها كلمة حياء.

أنت أولى بمكاني مني:

ودخل عليه ميمون بن مهران فقال له - وقد قعد في أخريات الناس -: عظني. فقال ميمون: إنك لمن خير أهلك إن وقيت ثلاثة. قال: ما هنّ؟ قال: إن وقيت السلطان وقدرته، والشباب وغرته، والمال وفتنته. قال: أنت أولى بمكاني مني. ارتفع إليّ، فأجلسه معه على سريره.

لم لا تنام؟

- وقيل له: لم لا تنام؟ قال: إن نمت بالليل ضيعت نفسي، وإن نمت بالنهار ضيعت الرعية.

قد فعل الله ما تحب:

أمر عمر بعقوبة رجل قد كان نذر لئن أمكنه الله منه ليفعلن

وليفعلن، فقال له رجاء بن حيوة: قد فعل الله ما تحب من الظفر، فافعل ما يحب الله من العفو.

وبئس والله أهل البيت:

ولما استخلف عمر بعث بأهل بيت الحجاج إلى الحارث بن عمرو الطائي، وكان على البلقاء، وكتب إليه: أما بعد، فإني بعثت إليك بآل أبي عقيل، وبئس والله أهل البيت في دين الله وأخلاق المسلمين، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله وعلى أمير المؤمنين.

- وقال: كفى بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث: أن يعيب شيئا- ثم يأتي مثله، أو يبدو له من الحية ما يخفى عليه من نفسه، أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه.

- وقيل له: أي الجهاد أفضل؟ فقال: جهادك هواك. وقال: ثلاث من كن فيه كمل: من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله، ولم يستنزله رضاه إلى معصية الله، وإذا قدر عفا وكف.

وهل الحجاج إلا خطيئة من خطاياك؟ وشررة من نارك؟

قيل: أتي الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج، فقال له: أما تقولت في الحجاج؟ قال: ما عسيت أن أقول في الحجاج؟ وهل الحجاج إلا خطيئة من خطاياك؟ وشررة من نارك؟ فلعنك الله، ولعن الحجاج معك. وأقبل يشتمهما، فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: ما تقول في هذا؟ قال عمر: وما أقول فيه؟ هذا رجل يشتمكم، فإما أن تشتموه كما شتمكم أو تعفو عنه. فغضب الوليد وقال لعمر: ما أظنك إلا خارجيا-. فغضب عمر وقال: ما أظنك إلا مجنونا-. وقام وخرج مغضبا-. ولحقه خالد بن الريان، فقال له: ما دعاك إلى ما

كلمت به أمير المؤمنين؟ والله لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظره متى يأمرني بضرب عنقك. فقال له عمر: وكنت فاعلا- لو أمرك قال: نعم. فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان، فقام على رأسه كما كان يقوم على رأس من كان قبله من الخلفاء. قال: وكان رجل من الكتاب يضر وينفع بقلمه، فجاء حتى جلس مجلسه الذي كان يجلس فيه الخلفاء. قال: فنظر عمر إلى خالد بن الريان، وقال: يا خالد ضع سيفك؛ فإنك تطيعنا في كل أمر نأمرك به، وضع أنت يا هذا قلمك، فقد كنت تضر به وتنفع. ثم قال: اللهم إني قد وضعتهما لك فلا ترفعهما. قال: فوالله ما زالا وضيعين مهينين بشر حتى ماتا.

أخي في الله:

يروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل عليه سالم مولى بني مخزوم، وقالوا: بل زياد، وكان عمر أراد شراءه وعتقه، فأعتقه مواليه، وكان عمر يسميه أخي في الله، فكان إذا دخل وعمر في صدر بيته تنحى عن القبلة، فيقال له في ذلك، فيقول: إذا دخل عليك من لا يهولك فلا تأخذ عليه شرف المجلس.

أتقوم يا أمير المؤمنين؟

وهمّ السراج ليلة أن يخمد، فوثب رجاء بن حيوة ليصلحه، فأقسم عليه عمر فجلس، ثم قام عمر فأصلحه، فقال له رجاء بن حيوة: أتقوم يا أمير المؤمنين؟ قال: قمت وأنا عمر، وتعللت وأنا عمر.

امتلأت الأرض والله جورا-:

ويروى أن عمر خرج يوما- فقال: الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وقرة بن شريك بمصر، وعثمان بن حيان بالحجاز، ومحمد

بن يوسف باليمن. امتلأت الأرض والله جورا-.

إن نفسي مطيتـي:

وقال عبد الملك ابنـه لـه يومـا-: يـا أبـت إنك تنـام نـوم القائلـة، وذو الحاجة على بابك غير نائم. فقال: يا بني إن نفسي مطيتي، وإن حملت عليها في التعب خسرتها.

وقد رضي الله بها شكرا- من جنته:

وكتـب إليـه عـدي بـن أرطـأة لمـا حفـر نهـر عـدي بالبصـرة: إنـي حفـرت لأهـل البصـرة نهـرا-، أعـذبت بـه مشـربهم، وجـادت عليـه أموالهم، فلم أر لهم على ذلك شكرا-، فإن أذنت لـي قسمت عليهم مـا أنفقته عليه. فكتب إليه عمر: إنـي لا أحسب أهل البصرة عند حفرك لهم هذا النهر خلوا من رجل قال: الحمد لله. وقد رضي الله بها شكرا- من جنته، فارض بها شكرا- من نهرك [1].

أتعبت خيل المسلمين في شهوتك:

وحكى أن عمر بن عبد العزيز قالت زوجتـه: اشتهى عمر عسلا فلما قدمته له وأكل منه قال من أين لكم هذا قلت أرسلت غلامـي علـى خيـل البريـد بـدينارين فاشـتراه لـك فباعـه وأعطـاني رأس مـالي ورد الباقي أي بيت المال ثم قال لنفسه يـا عمر أتعبت خيل المسلمين فـي شهوتك[2].

إن القراء ضربان:

(1) نثر الدر، 2 /87 - 94.
(2) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 206/1.

وقال عمر بن عبد العزيز لإياس بن معاوية: دلني على قوم من القراء أولهم، فقال له: إن القراء ضربان: ضرب يعلمون للآخرة، وأولئك لا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم إذا مكنتهم منها، فقال: ما أصنع؟ قال: عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأنسابهم ويرجعون إلى أعراقهم فولهم.

نهارك يا مغرور سهو وغفلة:

كان عمر بن عبد العزيز إذا جلس للقضاء قرأ:{□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ٱ ب پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ} [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧]، وينشد:

يغر بما يبلى ويشغل بالمنى ... كما غر باللذات في النوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عون بن عبد الله يعزيه بابنه: أما بعد، فإنا ناس من أهل الآخرة أسكنا الدنيا أموات أبناء أموات، فالعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام.

لا عليك:

ضرط كاتب عمر بن عبد العزيز بين يديه، فرمى بقلمه وقام خجلا-، فقال له عمر: لا عليك، خذ قلمك واضمم إليك جناحك، وأفرخ روعك، فما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي.

وأمرت بدخول الجنّة لما فعلت:

قال عمر بن عبد العزيز: لو كنت في قتلة الحسين وأمرت بدخول

الجنّة لما فعلت، حياء- من أن تقع عيني على عين محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

مقاما- لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يختصم إليه:

قام رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين، اذكر بمقامي هذا مقاما- لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يختصم إليه حين تلقاه بلا ثقةٍ من عمل، ولا براءةٍ من ذنب؛ فبكى حتى غشي عليه، ثم قضى حاجته.

بمثل هذا فليمت إلينا المتوسلون:

قام رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين، أنا فلان بن فلان، شهد أبي بدرا- وأحدا- والخندق وحنينا- - وجعل يعدد المشاهد - ولم ألبس الخز ولم أركب ولم أتزوج، فقال عمر: مشاهد والله ما تشبه مرج راهط ولا دير الجماجم، والله لأكسونك ولأزوجنك ولأحملنك، فكساه وزوجه وحمله وأثبت اسمه في شرف العطاء، وقال: بمثل هذا فليمت إلينا المتوسلون [1].

أكان ناقصا- من شرفك؟

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز وعليه ريطة [2] من رياط مصر فقال: بكم أخذت هذه يا أبا سعيد؟ قال: بكذا وكذا. قال: فلو نقصت من ثمنها شيئا- أكان ناقصا- من شرفك؟ قال: لا، قال: فلو زدت في ثمنها شيئا- أكان زائدا- في شرفك؟ قال: لا، قال:

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1 /6، 14، 26، 151، 234، 279، 348، 356، 361.

(2) ريطة:، وهي نوع من الثياب عبارة عن ملاءة عريضة مكونة من قطعتين قد خيطت إحداهما بالأخرى.

فاعلم يا مسلمة أن أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة، وأفضل اللين ما كان بعد الولاية.

إن القول فتنة فعليك بالعمل:

أراد عمر بن عبد العزيز أن يذكر بني أمية وجورهم وإفسادهم ويلعن الظالمين منهم، فشاور في ذلك جماعة من أهل العلم، منهم ميمون بن مهران، فقال له ميمون: يا أمير المؤمنين إن القول فتنة فعليك بالعمل [1].

إذا طابت العين عذبت الأنهار:

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لرجل من أهل الشام: كيف عمالنا قبلكم؟ قال: يا أمير المؤمنين إذا طابت العين عذبت الأنهار[2].

إذا استأثر الله بشيء فاله عنه:

لما دفن عمر بن عبد العزيز ابنه عبد الملك رأى رجلا- يتكلم ويشير بشماله، فصاح به: إذا تكلمت فاشر بيمينك. فقال الرجل: ما رأيت كاليوم رجلا- دفن أعز الناس عليه ثم هو يهمه يميني من شمالي. فقال عمر: إذا استأثر الله بشيء فاله عنه[3].

اقضني ثمن الغنم التي ابتعتها مني:

أكثر الأحوص من التشبيب بأم جعفر، وهي امرأة من الأنصار، ولم يكن بينهما معرفة، فنهاه عنها أخوها أيمن فلم ينته. فاستعدى عليه

(1) الحمدوني، التذكرة الحمدونية، 378/1.
(2) الحمدوني، التذكرة الحمدونية، 451/1.
(3) الحمدوني، التذكرة الحمدونية، 26/2.

عمر بن عبد العزيز، فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما: تجالدا، فلم أعيا أم جعفر أمر الأحوص جاءت إليه وهي منتقبة فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، فقالت: اقضني ثمن الغنم التي ابتعتها مني، قال: ما ابتعت منك شيئا- فأظهرت كتابا- قد وضعته عليه وبكت وشكت حاجة وضرا- وقالت: يا قوم كلموه، فلامه قومه وقالوا له: أوصل إلى المرأة حقها. فجعل يحلف وما يعرفها ولا رآها قط. فكشف وجهها وقالت: ويلك، وما تعرفني؟! فجعل يحلف مجتهدا- أنه ما رآها قط ولا يعرفها، حتى استفاض قولها وقوله، واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار بينهما، وكثر لغطهم. ثم قامت وقالت: يا عدو الله، صدقت، والله ما لي عليك حق ولا تعرفني، وقد حلفت على ذلك وأنت صادق، وأنا أم جعفر وأنت تقول: قلت لأم جعفر، وقالت لي أم جعفر في شعرك. فخجل الأحوص وانكسر عند ذلك، وبرئت عندهم [1].

وبم أوصيه؟

قال ابن دأب: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قيل له: يا أمير المؤمنين، اكتب إلى يزيد بن عبد الملك فأوصه بالأمة خيرا- فقال: وبم أوصيه؟ إني لأعلم أنه من بني مروان. ثم أمر بالكتاب إليه: أما بعد. فاتق، يا يزيد، الصرعة بعد الغفلة فلا تقال العثرة، ولا تقدر على الرجعة. تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتقدم على من لا يعذرك والسلام [2].

وله ذنوب يستغفر الله منها:

قال أبو الحسن عن علي بن سليمان: دخل عمر بن عبد العزيز

(1) الحمدوني، التذكرة الحمدونية، 9/3.
(2) المبرد، التعازي والمراثي، 33/1.

على رجل وهو يجود بنفسه، فقال له: استغفر الله، فقيل له: يا أبا حفص، لو لقنته شهادة أن لا إله إلا الله، فقال عمر: إن لا إله إلا الله من ذنبه، وله ذنوب يستغفر الله منها، فإذا استغفر الله فقد وحده، وإن المستغفر الخائف بعرض خير [1].

فعظني وأوجز:

عن العُتبيّ، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن: أَمَّا بعد: فإذا أتاك كتابي فعظني وأوجز. فكتب إليه الحسنُ: أَمَّا بعد. فأعص هواك، والسلام [2].

ولكني أنهي النفس عن الهوى:

وحكى أن عمر بن عبد العزيز عشق جارية لزوجته فاطمة بنت عبد الملك وزاد فيها غرامه فطلبها منها فأبت عليه، فلما أفضت إليه الخلافة زينتها بأنواع الزينة، ثم قالت يا أمير المؤمنين قد كنت أمسكت هذه عنك والآن فقد وهبتا لك فسر بها سرورا- بالغا-. ثم قال اخلعي ثيابك فحين همت أجلسها، ثم قال لها من أين جيء بك في الأصل قالت اغتصب الحجاج مال عامل فاصطفاني منه وأرسلني لعبد الملك فوهبني لأبنته فقال أحي هو؟ قالت لا. قال هل له ورثة؟ قالت ولد، فأحضره وأمره أن يذكر ما أغرم الحجاج أباه وأعطاه عمر رضي الله عنه ذلك الجارية وقال له احذر أن يكون أبوك نالها. فقال هي لك يا أمير المؤمنين فأبى فقال أتبيعها؟ فأبى، فقالت الجارية أين وجدك بي؟ قال قد زاد ولكني أنهي النفس عن الهوى [3].

لا تحزن يا أمير المؤمنين واجعل الأربعين سلفا- عندك:

(1) المبرد، التعازي والمراثي، 58/1.
(2) ابن دريد، الفوائد والأخبار، 1/1.
(3) داود الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 43/1.

وشدد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في النهي عن المعاصي كشرب الخمر فقال لصاحبي عسسه وخبره إذا رأيتما سكران فأتياني به فطافا إلى آخر الليل فإذا هما بشيخ حسن الهيئه بهي المنظر قد أخذ منه السكر وهو يقول:

سقوني وقالوا ألا تغني ولو سقوا :: جبال حنين ما سقوني لغنت

فقالا له أما تستحي وأنت بهذه الحالة فقال ارفقا بي فقد شربت مع أخوان أحداث فحين أخذ الشراب مني أخرجوني فقال لصاحب الخبر اكتم علي وأنا أطلقه قال قد فعلت فقال له أذهب يا شيخ ولا تعد قال نعم وأنا تائب فلما كان في الليلة الآتية رأياه كما ذكر وهو يغني.

::

إنما هيج البلى :: حين عض السفرجلا
فرماني وقال لي :: كن بعيني مبتلى
ولقد قام لحظه :: لي على القلب بالقلى

::

فقال له أين التوبة فقال إن أخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة عدوا علي وحلفوا أن لا يخرجوني إذا عمل بي الشراب فغلب علي وعليهم فخرجت فأطلقاه فلما كان الثالثة رأياه على تلك الحالة وهو يغني.

::

أرض عني فطالما قد سخطت :: أنت ما زلت جافيا- مذ عرفت
أنت ما زلت قاطعا- لا وصولا- :: بل بهذا فدتك نفسي ألفت
ما كذا تفعل الكرام بنو النا :: س بأحبابهم فلم كنت أنت

::

فقالا له هذه ثالثة ولا عفو فقال أخطأتما قالا ولم ذلك قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فإن تاب تاب الله عليه فإن شربها الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فإن تاب تاب الله عليه فإن شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فإن تاب تاب الله عليه فإن شربها الرابعة لم تقبل صلاة أربعين ليلة فإن تاب لم يتب الله عليه وكان حقا- على الله أن يسقيه من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار فقالا له اذهب فلما كانت الرابعة رأياه على الحكم وهو ينشد:

قد كنت أبكي وما حنت لهم أبل ... فما أقول إذا ما حمل الثقل
كأنني بك نضو الأحراك به ... تدعي وأنت عن الداعين مشتغل
فقلوبك بأيديهم هناك وقد ... سارت بأحمالك المهربة الذلل
حتى إذا استيأسوا من أن تجيبهم ... عضوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فقال له لم يبق عفو فقال افعلا ما بدا لكما فحملاه إلى عمر فاستنكهه فوجد الرائحة فحبسه حتى أفاق وجلده ثمانين ثم قال له لا تعد فقال قد ظلمتني يا أمير المؤمنين لأني عبد وقد جلدتني حد الأحرار فقال أخطأت إذ لم تعرفني وغم عمر فقال له الشيخ لا تحزن يا أمير المؤمنين واجعل الأربعين سلفا- عندك فضحك حتى استلقى على ظهره ثم قال لصاحب العسس إذا رأيت مثل هذا فارفعه إلي [1].

أو ما تغار؟

زوج عمر بن عبد العزيز بنتا- له، فقال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك: علمي هذه الصبية ما كنت تعلمين، أي ما كنت أعجب به منك، قالت: أو ما تغار؟ قال: إنما الغيرة في الحرام، فأما الحلال فلا،

(1) داود الأنطاكي، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 197/1 - 198.

أبعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة لا تعجلا حتى أدخل عليكما[1].

فاضربه ضرب الرجل المستطيل في عرض أخيه:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله: بلغني أن قبلك قوما يشتمون أبا بكر وعمر، فمن قامت عليه بينة فاضربه ضرب الرجل المستطيل في عرض أخيه وهو عنه ساكت[2].

أو ما تغضب يا عبد الملك؟

غضب عمر بن عبد العزيز فلما سكت غضبه فقال له ابنه عبد الملك: وأنت في الوضع الذي وضعك الله فيه، وولاك من أمر أمة محمد ما ولاك يبلغ بك الغضب ما أرى! قال: أو ما تغضب يا عبد الملك؟ قال: بلى، ولكن ما تنفع سعة بطني إذا لم أرد فيه غضبي حتى يسكن[3].

بئس الخاطب أنت:

سمع عمر بن عبد العزيز رجلا- يقول: اللهم زوجني الحور العين، وفي كفه حصى يقلبها، فقال: بئس الخاطب أنت، ألا ألقيت الحصى وأخلصت لربك الدعاء[4].

وهل ينتفع إلا بريحه؟

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 66/1.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 115/1.
(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 145/1.
(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 178/1.

كان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك المسلمين، فأخذ بأنفه لئلا يصيب الرائحة ويقول: وهل ينتفع إلا بريحه؟ [1].

فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا-:

سمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر القراءة في صلاته، وكان حسن الصوت، وهو إذ ذاك أمير المدينة، فرفع سعيد صوته وقال: يا أيها المصلي إن كنت تريد الله بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا-، فسكت وخفف ركعتيه ثم أخذ نعليه وخرج [2].

ونظر عمر بن عبد العزيز إلى علوي يمشي مشية منكرة، فقال: يا هذا، إن الذي شرفت به لم تكن هذه مشيته [3].

عليك وأراحنا منك:

وكان الوليد بن عبد الملك لحنة خطب الناس يوم عيد فقرأ في خطبته يا ليتها كانت القاضية وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وأراحنا منك[4].

من أنت:

ودخل إليه أعرابي وعنده عمر بن عبد العزيز فقال له من أنت

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 189/1.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 233/1.
(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 345/1.
(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 470/1.

ووصل الهمزة فظن الأعرابي أنه يقول مننت فقال المنة لله ولأمير المؤمنين فقال عمر للأعرابي إن أمير المؤمنين يقول لك من أنت قال فلان بن فلان قال ما شأنك وفتح النون قال جدري في وجهي وفحج بساقي قال عمر ويحك إن أمير المؤمنين يقول لك ما شأنك وضم النون قال ظلمني ختني قال ومن ختنك وفتح النون قال وما سؤالك عن ذلك يا أمير المؤمنين حجام عندنا بالبادية قال عمر إن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك وضم النون قال فلان [1].

انطلق صَحبك الله:

كان عمر بن عبد العزيز وهو أمير على الحجاز أُتي بالصلت بن أبي العاصي المخزومي سكران فجلده الحدَّ فغضب ولَحِقَ بالروم فتنصر، وبعث عمر رجلا- إلى ملك الروم في فداء من عندهم من الأسرى، قال: بينما أنا أجول في أزقة القسطنطينية إذ سمعت غناء- بلسانٍ فصيح عربيٍّ وصوت شجيٍّ في هذا الصوت:

وكم بين الفرات إلى المصلَّى ... إلى أُحدٍ إلى ميقات ريم
إلى الجمّاءِ من ثغرٍ نقيٍّ ... عوارضه ومن دلٍ رخيمِ
ومن عين مكحلة المآقي ... بلا كحلٍ ومن كشحٍ هضيم

فلم أسمع قط أطيب منه، ولم أدرِ، أهو كذلك حسن، أم لغربة العربية في ذلك الموضع، ودنوت من الصوت فلما قربت منه إذا هو في غرفة، فنزلت عن دابتي وصعدت إليه فسلمت فردَّ السلام وهو يبكي فقلت له: أبشر، فقد فك الله أسْرَك؛ بعثني أمير المؤمنين في فداء من بهذا البلد من المسلمين فما قصتك، قال: هربت إلى هذا البلد

(1) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 91/1.

غصبا- لما جرى عليَّ من عمر بن عبد العزيز، فمررت يوما- بهذا المكان وأشرفت على جارية من أحسن الناس وجها-فعشقتها وكلمتها فقالت: إن دخلت في ديني لم أُخالفك، فدعتني شدة الوجد بها إلى أن تنصرت. فقلت له، أكنت قارئا- للقرآن، قال نعم، قلت فما بقي معك منه، قال لا شيء إلا هذه الكلمة:{پپپپپپڀڀ} [الحجر: ٢]، قلتُ يا هذا، أتقِ الله وعاوِد الإسلام فإن الله يقول:{ڀڀڀڀٺ} [النحل: ١٠٦]، قال: وكيف، بعد عبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، انطلق صَحبك الله [1].

من كلامه - رحمه الله -:

- عجبت لمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم [2].
- ليس من المروءة أن تستخدم الضيف [3].

خطبة لعمر بن عبد العزيز:

- عن المدائني قال: خطب عمر بن عبد العزيز الناس بخناصرة فقال: بعد أن حمد الله عز وجل وأثنى عليه: أيها الناس إنما الأمان عند الله غدا- لمن باع قليلا- بكثير، فنظر امرؤ لنفسه وحاسبها في يومه قبل غده، فإن السعيد منكم من وعظ بغيره والسلام.

خطبة أخري لعمر بن عبد العزيز :

- عن المدائني قال: خطب عمر بن عبد العزيز الناس بعرفة

(1) الرقيق القيرواني، قطب السرور في اوصاف الخمور، ص33.
(2) أبو الربيع سليمان بن بنين بن خلف بن عوض تقي الدين المصري، اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق: يحيى عبدالرؤوف جبر، دار عمار - عمان، الطبعة الأولى، 1985،
ص125.
(3) أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص250.

فقال، بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس إنكم قد جئتم من القريب والبعيد، وأنضيتم الظهر، وأخلقتم الثياب، وليس السابق اليوم من سبقت راحلته أو دابته، ولكنَّ السابق اليوم من غفر له [1].

- إذا كان في القضاء خمس خصال فقد كمل: علم بما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم على الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشاورة أهل العلم والرأي.

- إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه، فلا تحكم له حتى يأتي خصمه، فلعله قد فقئت عيناه جميعا-.

- لما مات عبدُ الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب عمر إلى عُمّاله: إنَّ عبد الملك كان عبدا- من عَبيد اللهّ، أَحْسَنَ الله إليه وإليّ فيه، أعاشه ما شاء وقَبَضَه حين شاء، وكان - ما علمتُ من صالِحِي شباب أَهْل بَيْته قراءة- للقرآن، وتَحَرِّيا- للخير، وأعوذ بالله أن تكون لي مَحَبّة أخالف فيها محبة الله، فإن ذلك لا يَحْسُن في إحسانه إليّ، وتتابُع نَعمه عليّ، ولأعلمنّ ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة، قد نَهينا أهلَه الذين هم أحقُّ بالبكاء عليه.

- خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه:

قالت العُتبي: أول خُطبة خَطبها عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله قوله: أيها الناس، أصْلحوا سرائركم تَصْلُح لكم عِلانِيَتُكم، وأصْلِحُوا آخرتكم تَصْلح دُنْياكم؛ وإنَ امرئ ليس بينه وبين آدمَ أبٌ حيٌّ لَمُعْرِقٌ في المَوْت.

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 1 / 25، 132، 138، 149، 302، 374، 388، 420، 428، 440،.

- خطبة ابن الأهتم بين يدي عمر بن عبد العزيز:

ودَخل عبدُ الله بن الأهتم على عُمَر بن عبد العزيز مع العامّة، فلم يُفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلّم؛ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، فإن الله خَلق الخَلْق غنيّا- عن طاعتِهم، آمِنا من مَعْصيتهم، والناس يومئذ في المنازل والرأي مُختلفون، والعَرب بشرّ تلك المَنازل، أهل الوَبر وأهل المَدر، تُحتَاز دونهم طَيّبات الدُّنيا ورَفاهة عَيْشها، ميّتهم في النار، وحَيُّهم أعْمى، مع ما لا يُحصيِ من المَرْغوب عنه، المَزْهود فيه. فلما أراد اللهِ أن ينشر فيهم رَحْمته، بَعث إليهم رسولاً منهم، عزيزا- عليه ما عَنِتُوا حريصا- عليهم بالمؤمنين رؤوف رَحيم، فلم يَمنعهم ذلك أن جَرّحوه في جِسْمه، ولَقّبوه في اسمه، ومعه كتابٌ من الله ناطق، لا يَرحل إلا بأمره، ولا يَنْزل إلا بإذنه، واضطرّوه إلى بطن غار. فلما أمر بالعزيمة، أسْفر لأمر الله لونُه، فأبلج الله حُجته، وأعلى كَلِمته، وأظهر دَعْوته، وفارق الدُّنيا تقيّا- صلى الله عليه وسلم ثم قام من عده أبو بكر رضي الله عنه، فسلك سُنَّته، وأخذ سبيله؛ فارتدّت العربُ، فلم يَقبل منهم إلا الذي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله؛ فانتضىَ السُّيوف مِن أغمادها، وأوقد النِّيران في ش- عَلها، ثم رَكب بأهل الحق أهلَ الباطل، فلم يبرح يَفْصِل أو صالَهم، ويَسقي الأرض دماءهم، حتى أدخلهم في الباب الذي خَرجوا منه، وقرّرهم بالأمر الذي نَفروا عنه. وقد كان أصاب من مال الله بَكْرا- يرتوي عليه، وحَبشية تُرضع ولدا- له، فرأى ذلك غُصّة في حَلْقه عند موته، وثقْلا على كاهله، فأداه إلى الخليفة مِن بعده، وبَرِئ إليهم منه، وفارق الدُّنيا نقيّا- نقيّا- على مِنْهاج صاحبه.

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فمصَّر الأمصار، وخَلط الشدّة باللِّين، وحَسَر عن ذِراعيه، وشَمّر عن ساقَيه،

وأعدّ للأمور أقرانها، وللحرب آلتها. فلما أصابه قِنّ المُغيرة بن شُعبة أمر ابنَ عباس أن يسأل الناس: هل يُثبتون قاتَله. فلما قيل له: قن المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه مَن له حق في الفَيء فيستحلّ دمَه بما استحل من حقّه. وقد كان أصاب من مال الله بِضْعة وثمانين ألفا- فكسر بها رباعه، وكره فيها كَفالة أهله وولده، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدُّنيا تقيّا- على مِنهاج صاحبه. ثم إنّا والله ما اجْتمعنا بعدهما إلا على ضِلَع أعوج. ثم إنك يا عُمر ابنُ الدنيا، ولدتْك مُلوكُها، وألقمتك ثَدْيها، فلما وَليتَها ألغَيتها وأجببتَ لقاء الله وما عنده، فالحمد- لله الذي جَلاَ بك حَوْبتنا، وكَشف بك كُرْبتنا، امْض ولا تلتفت، فإنه لا يُغْني عن الحق شيء، أقول قولي هذا واسْتغفر الله لي ولكم وللمُؤمنين وللمُؤمنات. ولما قال: ثم إنّا والله ما اجتمعنا بعدَهما إلا على ضِلَع أعْوج. سَكت الناسُ كلّهم غيرَ هِشَام، فإنه قال: كَذبت.

- وخطبة أيضا- لعمر بن عبد العزيز:

قال أبو الحسن: خَطب عمرُ بن عبد العزيز بخُناصرة خُطبة لم يَخْطب بعدها حتى مات رحمه الله، حَمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تُخْلقوا عَبَثا-، ولم تُتركوا سُد-ى، وإن لكم معادا- يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخَسِر مَن خَرج من رحمة الله التي وَسِعَت كلَّ شيء، وحُرم جَنَة عرضمها السمواتُ والأرض. واعلموا أن الأمان غدا- لمن يخاف اليوم، وباع قليلا- بكثير، وفانيا- بباق؛ ألا تَرَوْن أنكم في أصلاب الهالكين، وسَيخلفها مِن بعدكم الباقون، حتى تُردّوا إلى خير الم الورثين، ثم إنّكم في كُل يوم تُشَيّعون غاديا- ورائحا- إلى الله، قد قَضى نَحْبَه، وبَلغ أجَلَه، ثم تغيّبونه في صَدْع في الأرض، ثم تَدْعونه غير م-وَسَّد ولا مُمَهّد، قد خَلَع الأسباب، وفارق الأحباب،

وواجه الحساب، غنيّا- عما تَرك: فقيرا- إلى ما قَدّم، وايم الله، إني لأقول لكم هذْه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب، أكثرَ مما عندي، فاستغفر الله لي ولكم، وما تَبْلُغنا حاجةٌ يتّسبع لها ما عِنْدنا إلا سَدَدْناها، ولا أحدٌ مِنكم إلا وَدِدْت أن يَده مع يديَ ولحُمتي الذين يلونني، حتى يَسْتوى عيشُنا وعيشُكم، وايم الله إني لو أردتُ غير هذا من عيش أو غِضارة لكان اللسانُ به ناطقا- ذَلُولا- عالما- بأسبابه، ولكنه مَضى من الله كتابٌ ناطق وسُنّة عادلة، دلّ فيهما على طاعته، ونَهى عن مَعْصيته؛ ثم بَكى، فتلّقى دُموع عَينيه بردائه ونَزل. فلم يعد بعدَها على تلك الأعواد حتى قَبضه الله تعالى.

- وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِيّ بن أرطاة عامِله علِي العراق: إذا أمكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرةَ الخالق القادر عليك، واعلم أن مالَكَ عند الله أكثرُ مما لك عند الناس. وكتب عمرُ بن عبد العزِيز إلى عُمَّالِه: مُروا من كان قِبَلكم، فلا يبقى أحد من أحرارهم ولا مماليكهم، صغيرا- ولا كبيرا-، وذكرا- ولا أنثى، إلا أخرج عنه صدقَة فِطر رمضان: مُدين من قمح، أو صاعا- من تمر، أو قيمة ذلك نصفَ درهم. فأما أهل العطاء فيُؤخذ ذلك من أعطياتهم، عن أنفسهم وعيالاتهم. واستعملوا على ذلك رجلين من أهل الأمانة يَقْبضان ما اجتمع من ذلك ثم يُقسّمانه في مَساكين أهل الحاضرة. ولا يُقسّم على أهل البادية [1].

- ثلاث من كنّ فيه فقد كمَل: من إذا غضب لم يُخرجه غضبه من الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا قدر عفا وكفّ.

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 1 / 5، 8، 9، 11، 24، 36، 79، 133، 135، 151، 170، 179، 233، 238، 303، 304، 317، 340، 346، 374، 429، 5/2، 6/2، 7، 161، 449، 32/3.

- قيّدوا النعَم بالشكر، والعلم بالكتابة.

- ما رأيت ظالما- أشبه بمظلوم من حاسد، غمٌّ دائم، ونفَس متتابع.

- جاهدوا أهواءكم كما تجاهدوا أعداءكم [1].

- كان عمر بن عبد العزيز يقول في دعائه اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك [2].

- اتقوا المزاح فإنها حمقة تورث ضغينة. - - وقال: إنما المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك وقيل: إنما سمي مزاحا لأنه مزيح عن الحق [3].

- وقال ميمون بن مهران قال لى عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عنى أربعا: لا تصحبن السلطان وإن أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامرأة وإن أقرأتها القرآن ولا تصل من قطع رحمه فإنه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وكم رأينا وبلغنا ممن صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسد هو به فكان كما قيل:

عدوى البليد إلى الجليد :: والجمر يوضع في الرماد
سريعة : فيخمد

- مثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا

(1) المبرد، الفاضل، 27، 29، 31، 37.

(2) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 1 / 194، 49/2، 162.

(3) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة: الأولى 1418 هـ 1977م، ص 37، 84.

مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر الحائط عليه فأهلكه.

قال الشاعر:

ومعاشر السلطان شبه سفينة ... في البحر ترجف دائما من خوفه
إن أدخلت من مائه في جوفها ... يغتالها مع مائها في جوفه

- القلوب أوعية والشفاء أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل إنسان مفتاح سره ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان اوثق لها وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه ولو كتمه أمن سطواته [1].

- المحظوظ التَّقّي يلجم لسانه، أخذه الحسن بن هانئ فقال:

إنَّما العاقل من ألـ ... ـجم فاه بلجام
مت بداء الصَّمت خيرٌ ... لك من داء الكلام

- تحدثوا بكتاب الله تعالى، وتجالسوا عليه، وإذا مللتم فحديثٌ من أحاديث الرّجال حسنٌ جميل.

- لذّة العيش ظفرك بمن تحبّ بعد امتناع، ولذة لا توجب عليك إثما-، وحقٌ وافق هوى-.

- الدَّين وقرٌ طالما حمله الكرام.

- كانت الهدية فيما مضى هدية، أما اليوم فهي رشوة.

- ذكر النعمة شكر.

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 174/1، 201، 204، 209، 231، 249، 255، 415، 444، 62/2، 197، 577.

- من جعل دينه عرضا- للخصومات أكثر التنقل.

- وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، إلى بعض عماله: أمّا بعد، فإنّ العقل المفرد لا يقوى به على أمر العامّة، ولا يكتفي به في أمر الخاصّة، فأحي عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التّجارب والمروءات، والسّلام.

- خصلتان لا تعدمك إحداهما من الأحمق، أو قال من الجاهل: كثرة الالتفاف، وسرعة الجواب.

- ما قرن شئ إلى شئ أحسن من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

- أفضل الجهاد جهاد الهوى.

- أحب الأشياء إلى الله أربعة: القصد عند الجدة، والعفو عند المقدرة، والحلم عند الغضب، والرفق بعباد الله في كل حال.

- أيها الناس! إنما الدنيا أجل محترم، وأمل منتقص، وبلاغ إلى دارٍ غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج، فرحم الله من فكر في أمره، ونصح لنفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه. أيها الناس! قد علمتم أن أباكم أخرج من الجنة بذنبٍ واحد، وأن ربكم وعد على التوبة خيرا-، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل [1].

- ما الجزع مما لا بد منه؟ وما الطمع فيما لا يرجى؟ لا تكن ممن يلعن إبليس في العلانية ويواليه في السر [2].

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 /7، 12، 18، 20، 21، 43، 61، 66، 74، 77، 80، 93، 117، 119، 132، 134، 171، 200، 236.
(2) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، 1 / 64.

- رحم الله رجلا- أهدى إلينا عيوبنا [1].

- الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، الملك والصدقة تدخلك عليه.

- وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، وإنما أنزل إليها عقوبة فاحذرها فإن الزاد منها ربحها، والغنى منها فقرها، لها في كل حين قتيل، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فكن فيها كالمداوي جراحه، يحمى قليلا مخافة ما يكرهه طويلا، ويصبر على شدة الدواء، مخافة طول البلاء، فاحذر هذه الدنيا الغدارة المكارة، الختالة الخداعة، التى قد تزينت بخدعها، وفتنت بغرورها، وتحلت بآمالها، وتشرفت لخطابها، فأصبحت بينهم كالعروس تجلى على بعلها، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهى لازواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الاخر بالاول مزدجر، ولا العارف بالله حين أخبره عنها مدكر، فمن عاشق لها قد ظفر منها بحاجته، فاغتر وطغى ونسى المعاد، وشغل بها لبه حتى زلت عنها قدمه، فعظمت ندامته، وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه، وحسرات الفوت بغصته، ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب، خرج منها بغير زاد، وقدم على غير مهاد، فاحذرها ثم احذرها، وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور اشخصته إلى مكروه، والسار منها لاهلها غار، والنافع منها في غد ضار، قد وصل الرخاء منها بالبلاء، وجعل البقاء فيها للفناء،

(1) أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس و د. عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1983، 229/1، 274.

فسرورها مشوب بالاحزان، ونعيمها مكدر بالاشجان، لا يرجع ما ولى منها وأدبر، ولا يدرى ما هو آت فينتظر، أمانيها كاذبه، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، والانسان فيها على خطر أن عقل ونظر، وهو من النعماء على غرر، ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خبرا، ولم يضرب لها مثلا، لكانت هي نفسها قد ايقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عنها زاجر، وبتصاريفها واعظ، فما لها عند الله قدر، ولا نظر إليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، كره أن يخالف على الله أمره، أو يحب ما أبغضه خالقه، أو يرفع ما وضعه مليكة، زواها الرب سبحانه عن الصالحين اختبارا، وبسطها لاعدائه اغترارا، فيظن المغرور بها، المقتدر عليها، إنه أكرم بها، وينسى ما صنع الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم من شده الحجر على بطنه، وقد جاءت الرواية عنه عن ربه سبحانه إنه قال لموسى: إذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين، وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى، كان يقول: أدامى الجوع، وشعارى الخوف، ولباسي الصوف، وصلائى في الشتاء مشارق الشمس، وسراجى القمر، ووسادى الحجر، ودابتي رجلاى، وفاكهتي وطعامي ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لى شئ، وليس على الارض أحد أغنى منى[1].

(1) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: 656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، 156/3، 104/17، 144/18، 329/18، 335، 295/19.

- أفرش طعامك اسم الله وألحفه حمد الله [1].

- ما الجزع مما لاَبد منه؟ وما الطمع فيما لاَ يُرْجَى؟ وما الحيلة فيما سيزول؟

- من يَزْرَعْ خيرا- يُوشِكْ أن يَحْصد غِبْطة ومن يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة.

- وقَالَ له رجل: جَزَاكَ الله عن الإسلام خيرا- فَقَالَ: بل جَزَى الله الإسلام عني خيرا-.

- وأتى برجل كان واجِدا- عليه فأمر بضربه ثم قَالَ: لولاَ أنى غضبان عليك لضربتك ثم خلَّى سبيله

- تعلموا العلم فإنه عون للفقير، أما أني لا أقول يطلب به الدنيا ولكن يدعوه للقنوع.

- وقال عمر بن عبد العزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة: اخفض الصوت، فلو نيل خير برفع الصوت لأدركه الحمير والكلاب.

- لا يكون المزاح إلا من سخف أبو بطر. وقيل: المزاح يبدي المهانة ويذهب المهابة. والغالب فيه واتر، والمغلوب ثائر.

- ما لله عز وجل على العاقل بعد الإسلام نعمة أفضل من مباينة العامة بالفهم والعقل.

- لم يعد المرء ما قسم له، فأجملوا في الطلب فإن في القناعة سعة وكفا عن كلفة لا تحل. وقيل: اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس فإن بيد الله قضاءها.

(1) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، كتاب خاص الخاص، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة - بيروت / لبنان -، ص 56.

- الدنيا لا تضر إلا من أمنها ولا تنفع إلا من حذرها.

- ليست التقوى قيام الليل ولا صيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمن رزق خيرا- بعد ذلك فهو خير [1].

- أيها الناس إنما خلقتم للأبد، وإنما تنقلون من دار إلى دار.

- وخطب فقال: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثا-، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادا- ينزل الله للحكم فيكم، والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض. واعلموا أن الأمان غدا- لمن خاف، وباع قليلا- بكثير، وفانيا- بباق، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين؟ وسيخلفها من بعدكم الباقون، حتى تردوا إلى خير الوارثين.

ثم أنتم في كل يوم تشيعون غاديا- ورائحا- إلى الله، قد قضى نحبه، وبلغ أجله، ثم تغيبونه في صدع من الأرض، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، ووجه إلى الحساب، غنيا- عما ترك، وفقيرا- إلى ما قدم. وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي. وأستغفر الله لي ولكم، وما بلغت حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سددناها، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده معي ومع لحمتي الذين يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشكم. وايم الله لو أردت غير هذا من عيش لكان اللسان مني ناطقا- ذلولا- عالما- بأسبابه، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته.

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 1 / 9، 30، 129، 139، 215، 249، 486، 489، 31/2.

وسأله رجل عن الجمل وصفين، فقال عمر: تلك دماء كف الله يدي عنها، فأنا أحب ألا أغمس لساني فيها.

- وكان يقول: اللهم إني أسألك رضوانك، وإلا أكن له أهلا- فعفوك.

- وقال لأصحابه: إذا كتبتم إليّ فلا تكتبوا الأمير، فليست الإمارة أفضل من أبي.

- وقال: من أحب الأمور إلى الله عز وجل الاقتصاد في الجدة، والعفو في القدرة، والرفق في الولاية.

- قيل: أول من اتخذ المنابر في المساجد للأذان عمر بن عبد العزيز، وإن أول من دعي له على المنابر عبد الملك.

- إن أقواما- لزموا سلطانهم بغير ما يحق الله عليهم، فأكلوا بخلاقهم، وعاشوا بألسنتهم، وخلفوا الأمة بالمكر والخديعة والخيانة، وكل ذلك في النار. ألا فلا يصحبنا من أولئك أحد ولا سيما خالد بن عبد الله. وعبد الله بن الأهتم فإنهما رجلان لسنان، وإن بعض البيان يشبه السحر، فمن صحبنا بخمس خصال، فأبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ودلنا على ما لا نهتدي إليه من العدل، وأعاننا على الخير، وسكت عما لا يعنيه، وأدى الأمانة التي حملها منا ومن عامة المسلمين فحيّهلا، ومن كان على غير ذلك ففي غير حلّ من صحبتنا والدخول علينا. وأتي بقوم أخذوا على شراب وفيهم شيخ، فظنه شاهدا-، فقال له: بم تشهد؟ فقال: لست شاهدا- ولكني مبتلى، فرق له عمر، وقال: يا شيخ؛ لو كنتم حين اجتمعتم على شرابكم قلتم: اللهم تولنا ولا تولنا غيرك لم يعلم بكم أحد.

- وكتب عمر إلى عدي بن أرطأة في شيء بلغه عنه: إنما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت.

- وقال: لو كنت في قتلة الحسين وأمرت بدخول الجنة ما فعلت؛ حياء أن تقع عليّ عين محمد صلى الله عليه وسلم.

- وقال: ما أطاعني الناس فيما أردت من الحق حتى بسطت لهم طرفا- من الدنيا.

- وكتب أن امنعوا الناس من المزاح، فإنه يذهب المروءة، ويوغر الصدر.

- وكتب إلى بعض عماله: لا تجاوزنّ بظالم فوق حده فتكون أظلم الظالمين.

- لو تخابثت الأمم فجئنا بالحجاج لغلبناهم. ما كان يصلح لدنيا ولا آخرة، لقد ولي العراق فأخربه حتى لم يؤد إلا أربعون ألف ألف درهم، وقد أدي إليّ في عامي هذا ثمانون ألف ألف درهم، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدى إليّ ما أدي إلى عمر بن الخطاب: مائة ألف ألف وعشرون ألف ألف درهم.

- حكى عن عدي بن الفضيل قال: خرجت إلى عمر أستحفره بئرا- بالعذبة، فقال له: وأين العذبة؟ فقلت: على ليلتين من البصرة، فتأسف ألا يكون بمثل هذا الموضع ماء، فأحفرني واشترط عليّ أنه أول شارب يأتي السبيل. قال: فحضرته في جمعة وهو يخطب فسمعته يقول: أيها الناس، إنكم ميتون، ثم إنكم مبعوثون، ثم إنكم محاسبون، فلعمري: لئن كنتم صادقين لقصرتم، ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم، أيها الناس، إنه من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض

أرض يأتـه، فأجملوا في الطلب. قال: فأقمت عنده شهرا- ما بي إلا استماع كلامه.

- ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيت له أن يمد له في حجته، حتى يكثر كلامه فأسمعه. ولذلك قال يونس: ليس في أسد إلا خطيب أو شاعر أو قائف أو راجز أو كاهن أو فارس.

- قيدوا النعم بالشكر، وقيدوا العلم بالكتاب.

- وخطب الناس لما مات ابنه عبد الملك، فقال: الحمد لله الذي جعل الموت حتما- واجبا- على عباده، فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم، ورفيعهم ودينهم، فقال تبارك وتعالى:{ں ں ڻ ڻ} [آل عمران: ١٨٥]. فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون إلى قبورهم، مقرون بأعمالهم، واعلموا أن لله مسألة فاحصة، قال تبارك وتعالى:{پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ} [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، وقال: إذا استأثر الله بشيء فاله عنه.

- وقال في خطبة له: أيها الناس، إنما الدنيا أمل مخترم، وأجل منفض، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج. فرحم الله امرءا- فكر في أمره، ونصح نفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه. أيها الناس، قد علمتم أن أباكم أخرج من الجنة بذنب واحد، وأن ربكم وعد على التوبة، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل.

- وقال: لا يتزوج من الموالي في العرب إلا الأشر البطر، ولا يتزوج من العرب في الموالي إلا الطمع الطبع. ألأا وقال لابنه عبد الله: يا بني، التمس الرفعة بالتواضع، والشرف بالدين، والعفو من الله

بالعفو عن الناس، ولا تحقرن أحدا؛ فإنك لا تدري لعل بعض من تزدريه عينك أقرب إلى الله منك وسيلة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، ولا تنس نصيب الناس منك.

- وخطب بعرفات فقال: إنكم قد أنضيتم الظهر وأرملتم؛ وليس السابق اليوم من سبق بعيره ولا فرسه، ولكن السابق اليوم من غفر له.

- وخطب فقال: أيها الناس؛ لا تستكثروا شيئا- من الخير أتيتموه، ولا تستقلوا شيئا- منه أن تفعلوه، ولا تستصغروا الذنوب، والتمسوا تمحيص ما سلف من ذنوبكم بالتوبة، والعمل الصالح فيما غبر من آجالكم، فإن الحسنات يذهبن السيئات. وقد ذكر الله عز وجل قوما-، فقال:{ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ} [آل عمران: ١٣٥]، وإياكم والإصرار على الذنوب؛ فإن الله ذكر قوما- بذنوبهم فقال:{ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ} [المطففين: ١٤ - ١٧]، نار لا تطفأ، ونفس لا تموت، فهي كما وصف الله عز وجل:{ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ} [السجدة: ٢٠]. و{ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} [النساء: ٥٦]، فهل لأحد بهذا طاقة؟ من استطاع منكم ألا يحجبه الله فليفعل. وخطب فقال: أما بعد؛ فإنك ناشئ فتنة، وقائد ضلالة قد طال جثومها، واشتدت غمومها، وتلونت مصايد عدو الله فيها، وما نصب لأهل الغفلة من الشرك عما في عواقبها، فلن يهد عمودها، ولن ينزع أوتادها إلا الذي بيده ملك الأشياء، وهو الرحمن الرحيم. ألا وإن لله بقايا من عباده، لم يتحيروا في ظلمتها، ولم يشايعوا أهلها على شبهها، مصابيح النور في قلوبهم تزهر، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق، ركبوا نهج السبيل، وقاموا على اللقم

الأكبر الأعظم. وهم خصماء الشيطان الرجيم. وبهم يصلح الله البلاد، ويدفع عن العباد، فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم، أسأل الله أن يجعلنا منهم. وخطب فقال: ما أنعم الله على عبد نعمة، فانتزعها منه فغاضه من ذلك الصبر، إلا كان ما عاضه الله من ذلك أفضل مما انتزعه منه، ثم قرأ:{□□□□□□} [الزمر: ١٠].

- وكتب إلى الجراح بن عبد الله الحكمي: إن استطعت أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزا- بينك وبين ما حرم الله عليك فافعل، فإنه من استوعب الحلال كله تاقت نفسه إلى الحرام.

- وقال: ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

- وقال رهم مولى عمر بن عبد العزيز: ولاني عمر ثم قال: يا رهم إذا دعتك نفسك إلى ظلم من هو دونك فاذكر قدرة الله عز وجل عليك، وانتقامه منك، وفناء ما يكون منك إليه عنه، وبقاء ما يكون منك إليه عليك.

- أتى عمر منزله فقال: هل من طعام؟ فأصاب تمرا- وشرب ماء، فقال: من أدخله بطنه النار؛ فأبعده الله.

- أحسن الظن بأخيك حتى يغلبك.

- القلوب أوعية السرائر، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ منكم مفتاح سره.

- وقال لابنه: بت على بيان من أمرك، وليكن لك مطوي من سرك.

- ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك في مرضه الذي توفي فيه

فقال: يا أمير المؤمنين، أفقرت أفواه ولدك من هذا المال، وتركتهم عالة لا أحد لهم ولا مال لهم، فلو أنك أوصيت بهم إليّ أو إلى أشباهي من قومك ممن يكفيك مئونتهم. فقال: أقعدوني، ثم قال: يا مسلم؛ أما ما ذكرت من إيصائي بولدي إليك أو إلى أشباهك من قومي ليكفوني مئونتهم، فإن وصيي فيهم ووليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وأما ما ذكرت من إفقاري إياهم من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقا- هو لهم، وما كنت لأعطيهم حق غيرهم. وما ولد عمر إلا أحد رجلين: رجل اتقى الله فسيرزقه، ورجل غدر أو فجر، فلن يكون عمر أول من قواه بالمال على المعصية. ثم قال: عليّ بهم. فأدخلوا عليه وهم يومئذ اثنا عشر، فلما نظر إليهم اغرورقت عيناه بالدموع وقال: بنفسي فتية تركتهم، ولا أحد لهم. بلى يا بني، إني قد تركتكم بخير من الله، لا تمرون بمسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق. يا بني، إني ميلت بين رأيين: بين أن تفتقروا، أو يدخل أبوكم النار، فرأيت أن تفتقروا إلى آخر يوم من الأبد أحب إلى أبيكم من أن يدخل النار.

- وكتب إلى ابن حزم: أما بعد؛ فإن الطالبين الذين نجحوا، والتجار الذين ربحوا، الذين اشتروا الباقي الذي يدوم بالفاني المذموم، فاغتبطوا ببيعهم، وحمدوا عاقبة أمرهم، فالله الله، وبدنك صحيح، وأنت مريح، قبل أن تنقضي أيامك، وينزل بك حمامك، فإن اليسير الذي أنت فيه يقلص ظله، ويفارقه أهله، فالسعيد الموفق من أكل في عاجلته قصدا-، وقدم ليوم فقره غدا، وخرج محمودا- من الدنيا قد انقطع عنه علاج أمورها، وصار إلى نعيم الجنة. وكتب إلى بعض عماله: أما بعد؛ فلتخفّ يدك عن دماء المسلمين، وبطنك عن أموالهم، ولسانك عن أعراضهم، فإذا فعلت ذلك فلا سبيل عليك{بسنا

ئائه ئه ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆئۆ ئۈ ئۈ ئې ئېئې} [الشورى: ٤٢].

- وكان من دعائه: اللهم أعطني من الدنيا ما تكفني به عن شهواتها، وتعصمني به من فتنتها، وتغنيني به عن جميع أهلها [1].

- لولا أنّ ذكر الله تعالى عليّ فرضٌ ما تفوهت به تعظيما- له.

- وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم: أما بعد فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر أني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم، أن أكون أمرت بذلك أو رضيته أو تعمدته، إلا أن يكون وهما- مني، أو أمرا- خفي علي لم أتعمده، وأرجو أن يكون ذلك موضوعا- عني مغفورا- لي إذا علم مني الحرص والاجتهاد. ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتى يراجع الحق وهو ذميم. ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم ولا أثرة على فقرائكم في شيء من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به خاصا- أو عاما- من هذا الدين فله بين مائة دينار إلى ثلاثمائة دينار على قدر ما نوى من الحسنة وتجشم من المشقة. رحم الله امرءا- لم يتعاظمه سفر يحيي الله به حقا- لمن وراءه. لولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أمورا- من الحق أحياها الله، وأمورا- من الباطل أماتها الله عنكم، وكان الله هو المتوحد بذلك فلا تحمدوا غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري، والسلام.

- ما أحب أن يخفف عني الموت لأنه آخر ما يؤجر المسلم

(1) نثر الدر، 2 /87 - 94.

عليه[1].

- تعلموا العلم فإنه عون للفقر، أما إني لا أقول تطلب به الدنيا ولكن يدعو إلى القنوع.

- ما أنعم الله على عبد نعمة- فانتزعها منه وعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عوضه أفضل مما انتزع منه. ثم قرأ: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب [2].

- كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب القُرَظي " أَمَّا بعد: فإذا أتاك كتابي فعظني ". فكتب إليه إِنَّ ابن آدم مطبوع على أخلاق شتى كيس وحُمق، وجُرأُة وجُبن، وحلم وجهل؛ فداو بعض ما فيك ببعض، وإذا صحبت فاصحب من كان ذا نِيَّةٌ في الخير يُعنك على نفسك، ويكفيك مؤونة الناس، ولا تصحب من الأصحاب من خطرُهُ عندك على قدر حاجته إليك، فإذا انقطعت انقطعتْ أسباب مَوَدَّتك من قلبه، وإذا غرست غرسا، من المعروف، فلا تُضق ذرعك أن تَرَبَّة[3].

- أعوذ بالله أن يكون لي محبة في شيء من الأمور تخالف محبة الله[4].

- أن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد، وأن ربكم وعد على التوبة خيرا-، فليكن أحدكم من ذنبه على وجل، ومن ربه على أمل[5].

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 1 /6، 14، 26، 151، 234، 279، 348، 356، 361.
(2) المبرد، التعازي والمراثي، 16/1.
(3) ابن دريد، الفوائد والأخبار، 2/1.
(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 79/1.
(5) الزمخشري، ربيع الأبرار، 80/1.

- أنه ليمنعني من كثير الكلام مخافة المباهاة[1].

- لا تكن ممن يلعن إبليس في العلانية، ويطيعه في السر[2].

- ما وعظني أحد بأحسن مما وعظني به طاووس، كتب إلى أن استعن بأهل الخير يكن عملك خيرا-، ولا تستعن بأهل الشر يكن عملك شرا- كله [3].

- إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما [4].

- قال عمر بن عبد العزيز لزهرة بن معبد: لا تفعل شيئا- رياء، ولا تتركه حياء[5].

- ألا ترون أنكم من الدنيا في أسلاب الهالكين، وسيسلبها بعدكم الباقون، حتى يرث ذلك خير الوارثين[6].

- من وصل أخاه بنصيحة له في دينه، ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته[7].

- ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الايمان من إذا غضب لم يخرجه غضبه إلى الباطل وإذا رضي لم يخرجه رضاه عن الحق وإذا قام جدال لا يأخذ ما ليس له وإذا تمكن منه الغضب على أحد حبسه ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه ثم يحضره فإن وجب عليه العقوبة عاقبه وإلا

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 125/1.
(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 181/1.
(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 219/1.
(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 305/1.
(5) الزمخشري، ربيع الأبرار، 377/1.
(6) الزمخشري، ربيع الأبرار، 430/1.
(7) الزمخشري، ربيع الأبرار، 470/1.

أطلقه[1].

- أجملوا في الطلب، فلو أن رزق أحدكم في عرعرة جبل، أو حضيض أرض، لأتاه قبل أن يموت [2].

- كان عمر بن عبد العزيز، يرتعد ولصدره أزيز، ويقول: يا قوم، اذكروا صباح ذلك اليوم [3].

ويلك والله لو أن القرآن نزل على صخر لتفجر، ولوهبط على حجر لتكسر، وتقرؤه وأنت لاهٍ ساه، تتفكر في المنصب والجاه، كأن الليالي لا تطويك، والكلام لا يعْنيك، تدفن الآباء والأجداد، وتفقد الأخوة والأولاد، وأنت لازلت في إصرار وعناد، سبحان الله تغترّ بالشباب، وتزيّن الثياب، وتنسى يوم يُهال عليك التراب:

أبدا- تصرُّ على الذنوب ولا تعي ... وتكثر العصيان منك وتدَّعي
أبدا- ولا تبكي كأنك خالدٌ ... وأراك بين مودِّعٍ ومشيِّعِ

لا تغفل ذكره، ولا تنس شكره، ولا تأمن مكره، هو الذي عفر بالطين، أنف فرعون اللعين، وفرّق جنوده أجمعين، مساكن من عصاه قاع قرقر، بعد ما أرسل عليهم الريح الصرصر، إذا غضب دمر المنازل على أهلها، وسوّى جبالها بسهلها، شابَ رأسُك، وما خفّ بأسك، ومازال في المعاصي فأسك، ما لك ما تردّك الآيات، ولا تزجرك العظات، ولا تتذكر الأموات، مصرٌّ مستكبر، تركب كل أمر منكر[4].

(1) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 218/1.
(2) ثعلب، مجالس ثعلب، 2/1.
(3) عائض بن عبد الله القرني، مقامات القرني، 80/3.
(4) عائض بن عبد الله القرني، مقامات القرني، 80/3.